اسفة.. لن أرفض الزواج

ايناس صلاح هيكل

اسفة لن ارفض الزواج **

أغلقت الباب... عم السكون ارجاء المكان.. تنهدت و تحركت للداخل.. رمقت الطاولة ف الصالة بنظرة لامبالاه... كانت قد تلوثت ببقع من اثار الشاي و خطوط الاقلام الجافه و ورق كراسات مقطوع و مرمي عليها... لا يهم ستنظفها غداً.. او لعلها حتي لا تُنظفها فهي بكل الحالات سيتركوها بنفس تلك الحالة غداً... دخلت غرفتها... لم تُغلق الباب و لِم تفعل... لن يُزعجها أحد و لا يوجد في الوِحدة خصوصية..كانت مُنكسة الرأس تأخذ أنفاسها عميقه و ترفرها كتنهيده.... جلست علي السرير... التفتت بتلقائية فتلاقت عيناها بها... قامت من مكانها نحوها.. بدت كأنها مُسيّرة و كأن شيء يجذبها.. اقتربت منها... قربت وجهها... كانت تنظر بتفحص.. كل هذي التجاعيد متي ظهرت... لم تكن هنا البارحة.. أو لعلها كانت... قد تكون حتي قد استوطنت وجهها منذ ايام او أسابيع او حتي شهور و قد تكون منذ سنين... كيف لم تنتبه لها.... ها هي تُنكر كما فعلت في الصباح حين وقع بصرها عليها... ابتعدت ... عادت لسريرها.. خرت عليه بيأس... رجعت بظهرها و استلقت.. تطلعت للمروحة التي تلف في السقف... ظلت تُتابعها..... أغمضت عينها... اخذها النوم علي وضعها... لم تتقلب بنومتها و لم تتململ... كانت و كأنها فاقدة للوعي...او تستحضر الموت... علا صوت

المنبه فهز اركان المكان الكامن في صمته.... فتحت عينها فكأنما ما نامت... أعتدلت فبدا علي وجهها التألم من ألم جسدها المتيبس بحالته... قامت متثاقلة تطفئ المنبه و كأنها قد استأنست بصوته و لا تريده يصمت.... كان يشير للـ ثانية صباحاً... مشت بخطوات يائسة للصالة و منها للحمام دقائق و خرجت... تتساقط منها قطرات المياة... عادت لغُرفتها.... ارتدت أسدال و أحكمت الحجاب و توارت بركن الغرفة و كبرت و بدأت تُصلي.... انتهت من اول ركعتين فشرعت في آخرتين و عادت و عادت حتي قاطعها اصوات تكبيرات الفجر... جلست علي الارض و اسندت رأسها للحائط تنتظره حتي ينتهي... قامت و صلت كما تُصلى الصلاة في كتابها.... لم تقم من جلستها... ارجعت ظهرها للحائط و رفعت رجلها لتضم فخذها لصدرها... هوت بوجهها عليهما.... اليوم السابع عشر في الشهر الرابع بعد العام التاسع و الثلاثين من يوم ولادتها.... تُحصي عمرها بالايام كأنما تُساق للموت.. كأنها قد علمت في اي يوم ستنتهي حياتها فأصبحت تحسب كم تبقي منها... حسناً اعوام قليلة و ستنقطع كل صلة بها في الحياة... و ماذا تفيد انفاس في جسد بلا حياة... بلا فائدة... تقاوم الشيخوخة بمظهرها... و ماذا عن شيخوخة الدواخل... ماذا عن تلك الاشياء التي لا يمكن

أن توقف الزمن من أجلها... سينتهي كل شي خلال أعوام قليلة... لن تكون أنثى...الجميع يحسدها لما تبدو عليه...علي تلك الراحة و هل يرتاح سوى الميت... تريد ان تكون مثلهن فليأخذو كل شيء و تصبح واحدة منهن... زوجة و ام.... تريد ان تُلقي بنفسها في اخر اليوم علي السرير مرهقة من التعب في رعاية زوجها و ابنائها.. و ليس ان تظل تعمل و تُرهق نفسها طول اليوم حتي ينتهي اليوم لتستطيع النوم بضع سويعات.... فرق كبير بين ان تنام من التعب و بين ان تتعب لتنام... ان يكون تعبك و مجهودك الذي تبذلة تستمد منه طاقتك لتمضي في الحياة و تواصل مشوارك و ان يكون تعبك و مجهودك حتي يشغلك عن الحياة و التفكير في كيف ستُكملها.... اخذتها غفلة من كثرة التفكير... دوى صوت المنبه مرة أخرى.. رفعت رأسها و علي وجهها اثر النوم.. تسندت لتنهض.. مشت و عليها اثر عرج بسيط من تيبس رجلها في وضعية اتخذتها دخلت الحمام لتغسل وجهها و عادت للغرفة... فتحت الدولاب و اخرجت ثيابها... سلمي مدرسة لغة انجليزية في إحدى المدراس الإبتدائية تمضي فيها نصف يومها لتعود لتُكمل النصف الثاني في إعطاء الدروس الخصوصية... تعيش وحدها في بيت من طابقان اصبحت تملكة بعد ان حررت الورثة فآل إليها... لها اخت واحدة تزورها من

وقت لآخر برغم انهما في نفس القرية.. انتهت من ارتداء ملابسها دون ان تنظر في المرآة... استرقت النظر و هي تتخطى الباب... لازالت مقبولة فلم لا تُصبح زوجة.... اتي لها خُطاب في عشرينياتها... .. كل ما جاءو من اجله هو راتبها ... رفضت البعض و تغالت علي البعض ليرفضوها هم... كانت تظن ان هناك رجال كما الكلمة... رجال كالجبال ان تسندت عليه فلن تقع و ان تورات وراء ظلاله تسترت... رجل يستطيع ان يكون أب لابنائها ... و هل بقى منهم.... ها هي تُغادر الثلاثينات ... ودّعت الخُطاب من سنوات... لم يعد يُطرق بابها اي منهم.... تتحسر كل دقيقة علي ما فعلت... ليتني فعلت كالاخريات... ليتني خضت التجربة و ان صدق ظني فيه فحسبي ألا اظل وحيدة... سيكون معي وقتها طفل او اثنان اتطلع للمستقبل معهم و لاجلهم...تنهدت و حملت حقيبتها لتُغادر... خرجت من البيت للشارع... كعادتها تمشي مهرولة.. لا تريد ان تُقابل اي من رفيقاتها... تلك النظرات.. التلميحات.... الجمل المقصودة و الغير مقصودة... اعتادتها لكنها لم تفقد تأثيرها فيها... بدت الشوارع فارغة.. هو من حسن حظي إذا... المدرسة ليست ببعيدة فلِم تركب مواصلة إليها... يحسبوها بخيلة لكنها فقط لا تُحب الراحة... لا تريد الموت... تُشعرها الحركة بالحياة... تسمع

كلماتهن... لو انت مركبتش التوكتوك في كل مشوار مين اللي هيركبوا... انت لا وراكي عيل و لا تيل هتوفري لمين.... ليت عندي لكنت ركبت لاوفر طاقتي له.. ليس عندي من ادخر راحتي من اجله.. يلوموني و يحسدوني علي نفس الشيء.. وصلت للمدرسة وجدتها مُغلقة.. هل تأخرت... هوت بيدها علي البوابة تطرقها.. دقائق و فتح لها الفرّاش

سلمي و هي تحاول الدخول : هو انا اتاخرت ولا ايه يا عم محمد... هي في لجنة جاية النهاردة

محمد بدهشة : لجنة ايه و اتاخرتي ايه... النهاردة الجمعة

سلمي بصدمة : الجمعة

محمد : ايوة يا ابلة سلمي.. انت لو كنت جيتي كمان خمس دقايق مكنتيش هتلاقي حد يرد عليكي.. انا نبطشيتي خلصت و مروح دلوقتي اصلا... حظك حلو بقه

سلمي بدا عليها الحزن و ألتفتت لتُغادر : حظي حلو.... ده انا نحس مُتحرك... يعني اليوم الوحيد اللي اخرج فيه و ميقابلنيش حد ينكد عليه يطلع يوم الجمعه و مكنش اصلا المفروض اخرج

كانت سلمي تُحدث نفسها... نكست رأسها و مشت بخطوات متثاقلة... لِم العجلة إذا فالوحدة لن تذهب بعيداً ..... ستظل تنتظرها حتي تعود للبيت فتكون بصحبتها لباقي اليوم...... انتبهت ليد تمسك ذراعها.. رفعت رأسها مفزوعه

سلمي بتلقائية مفزوعة : مييين..

ثم اضافت و هي تلتقط انفاسها : هو انتِ يا ريم.. خضتيني

ريم ضاحكة : انتِ لسة بتركبي الهوا

سلمي ضاحكة : انت اللي دايما تاخديني قفش كدة

ريم ضاحكة و هي تمد يدها بأبنتها الصغيرة لسلمي : دي بقه مركباني العصبي

انحنت سلمى علي ركبتيها لتكون بمستوى الصغيرة و احتصنتها و قالت بحب : ازيك يا رورر.. مزعله ماما ليه

ريم : مزعلاني دي هتوقف خَلفي بعمايلها

سلمى و هي تعتدل و تداعب بأصابعها الصغيرة : ليه بس دي رؤى مؤدبة و هادية

ريم بعصبية : لا هادية و لا حاجة... دي تجنن بلد... دي قرفاني يا شيخة ... ربنا و الله يا سلمي مريحك من قرف العيال.... طول اليوم بس يا بت... .. . ولا ابوها بقه مقولكيش بيزن علي كل حاجة و طلباته مبتخلصشي

كانت سلمي تسمع و عيناها مفتوحة علي آخرها... الصغيرة في الثالثة من عمرها فما عساها فعلت لتستحق كل هذا السُخط... و ابوها... تعرفه.. . بل الكل يعرفه بشخصيته الضعيفة امام ريم.. ابتسمت و هي تُتابع اسطوانة تُكررها هذي و تلك لتُبعد عنها العين... انتبهت ل ريم و هي تنهر الصغيرة و تحاول ضربها

سلمي و هي تجذب البنت لها : في ايه بس

ريم بعصبية : مش عارفة بتمد ايدها ليكي ليه... مش عارفه البت دي طالعة كدة لمين

سلمي نظرت لريم و قد رفعت إحدى حاجبيها بأستنكار.. لم تمد الصغيرة يدها كما لم تمدها ابدا لكنها و كالمرات السابقة تُحدث ريم تلك الجلبة لتُنبه سلمي ان تُعطي شيء للصغيرة... انحنت سلمي علي ركبتيها لتكون بمستوى الصغيرة و فتحت حقيبتها ..

ريم بتمنّع مصطنع : يا سلمى بلاش كدة الله

سلمي بأبتسامة باهته بعد ان لوت شفتيها و قد أيقنت حيلة ريم : دي حاجة بسيطة اصلاً.. انا أساساً شكلي ناسية المحفظة.. خدي يا رؤي شيكولاته ليكي.. بس خليكي شاطرة و اسمعي كلام ماما بقه

ريم و هي تلوي شفتيها و تجذب الصغيره ليدها : شيكولاته... هي بتبطل تيجيبها... و بعدين انتِ خارجة من غير محفظتك ليه

سلمى بدهشة : نعم

ريم بأضطراب : مش قصدي بس لو محتاجة فلوس اعطيكي يعني مادام ناسيه محفظتك

سلمي و هي تهِم للتحرك : تسلمي يا ريم انا اصلا مروّحة مش هحتاج الفلوس

ريم وهي تلتفت هي الأخرى لتُغادر : ماشي يا حبيبتي مع السلامة

ما ان غادرت سلمي و تحركت ريم حتي قالت بغضب بصوت يكاد يكون مسموع : شيكولاته.. و ناسية المحفظة... هتفضلي تكنزيهم لحد امتي...

اما سلمي فعادت لتُحدث نفسها بصوت ليس بخفيض : لأ فعلا حظي حلو يا عم محمد بصراحة يعني..

....

في عقار مكون من ثلاث ادوار كما يُقال عنه بيت العيلة.. الدور الثاني شقة محمود مدرس رياضيات بأحدي المدراس الاعدادية و زوجتة سارة و ابنهما أحمد و مروان..... و الدور الثالث اخوه الدكتور يحيي و زوجته هالة... اما الدور الاول فتشغله امهما سُمية بعد وفاة زوجها من أعوام... اليوم الجمعة و كالعادة ينزل ابناها و زوجتيهما و ابناءهم ليقضوه معها... كانت قد فتحت بابها كما تعودت كل يوم بعد صلاة الفجر.. . شقتها بسيطة الأثاث... كالبيوت المصري القديمة.. كنبتان بلدي في مقابل الباب و كراسي بلاستيكية موزعة في صالة واسعة لحد ما... جلست سُمية كالعادة علي إحدى الكنبتان تشاهد التلفاز... إحدى المسلسلات العربية و بيدها سبحة تُحرك حباتها و كأنها تذكر... دقائق و سمعت فتح البوابة الرئيسية... ظهرت فتاة في العشرينات و معها صغيرتها..

ريم و هي تدلف للداخل : سلامُ عليكم

سمية مُرحبة : عليكم السلام ورحمة الله .....

ثم و هي تنظر للصغيره و تمد يدها نحوها : اهلا اهلا صباح السكر و الشكولاته

ريم بتذمر و هي تحمل ابنتها لتضعها في حُضن جدتها : و النبي يا ماما بلاش سيرة الشيكولاته بلا شيكولاته بلا زفت

سمية بتشاغل و قد وضعت الصغيرة علي فخذها و قبلتها : ليه مالها الشيكولاته

ريم بعصبية : يوووه ما تقوليش الكلمة دي

سمية بتعجب : في ايه جاية بزعابيبك ليه

ريم بأنفعال : الصبح تقولي اصطبح بوش مين

سمية ضاحكة : المنيل جوزك

ريم بعصبية : خلاص اتعودت عليه... الصبح قابلت سلمي

سمية بتشاغل و هي تداعب الصغيرة : سلمي بتاعتنا

ريم بتهكم : بتاعتنا اه... انا مكنتش عاوزه اسلم عليها بس لقطتني بعينها اللي زي الصقر و رزعت البت رؤي عين جامدة و في الاخر تفتح الشنطة و تطلع لها زفت شيكولاته و تقول اصلي ناسية المحفظة... يخربيت ام البخل

سمية ضاحكة : ياختي مال الكُنزي للنزهي.. سيبيها تكنزهم و في الاخر هيبقي ف بيت اخوكي..

ريم بعصبية : يعني اقل من انها تحط ف ايد البت عشرة جنية... دي مش مبطلة دروس خصوصية دي بيدخل لها في الشهر بالالفات من الدروس بس

سمية 'و هي توكز ابنتها تُنبهها : اسكتي في حد نازل علي السلم لتكون اختها..

سارة : السلام عليكم ورحمة الله

ريم بأبتسامة واسعة : عليكم السلام.. ازيك يا سارة

سارة و هي تقترب من سُمية و احتضنتها : الحمد لله ازيك يا ماما

سُمية : الحمد لله... امال فين محمود و العيال

سارة و هي تحتضن ريم : نازلين ورايا.. ازيك يا ريم

ريم : الحمد لله رضا علي كل حال... اهو عايشين

محمود مقاطعاً : السلاااااام عليكم

الجميع : عليكم السلام

سُمية : امال فين مروان و احمد

محمود و هو يجلس علي احدى الكراسي : طلعوا لعمهم و هينزلوا معاه

سمية بحزن : ربنا يعوض عليه

ريم بغضب : ما قولنا يتجوز و يلحق يجيب له عيل يفرح بيه

سارة : ما انتي عارفة ان يحيي بيحب هالة و مش هتهون عليه يسيبها

سُمية بعصبية : و يسيبها ليه .... ما تفضل علي ذمته و يتجوز واحدة تجيب له عيل

سارة : بس هالة مش هتقبل بكدة

سمية بغضب : تقبل ايه و ماتقبلشي ايه هو بمزاجها.. و بعدين ايه دخلك في الكلام ده اصلا

سارة مقاطعه : بس يا ماما انا مقولتش..

محمود مقاطعاً و هو ينظر لسارة بحسم : خلاص يا سارة متزوديش انتهينا

سارة و هي تنظر له و بدا عليها الحزن : حاضر

ريم بخبث : اسكتي يا سارة تقولي قابلت مين علي الصبح

سارة بلامبالاه : مش عارفه..

ريم : سلمي أُختك... مش عارفة راحة فين على الصبح كدة و لا راجعه منين... ده انا قلت انها هتيجي هنا بس يظهر انها وراها حاجة تانية..

سارة بأضطراب : تلاقيها راحة تقرا الفاتحة لبابا و ماما في التُرب

ريم بخبث : يمكن

يحيي مقاطعاً : السلام عليكم

الجميع : عليكم السلام

يحيي و هو يحمل صبي في الثالثة من عمره و يتعلق صبي في السابعة برقبته من الخلف : ازيك يا ماما

سمية ببشاشة : الحمد لله يا حبيبي... تعالى اقعد و نزل القرود دول من علي ظهرك

جلس يحيي علي احد الكراسي و اجلس الصغيران علي رجله و انشغل بملاعبتهم حين انتبه لصوت اخته

ريم بأبتسامة مصطنعه : امال فين هالة يا يحيي

يحيي بتشاغل : لسه نايمة...

ريم بخبث و هي تحمل صغيرتها من علي رجل امها : نايمة... يا بختها و الله انا البت من الفجر تقف علي راسي تصحيني

يحيي و هو ينظر لها بأبتسامة : ربنا يخليكي ليها و يبارك لك فيها

محمود و هو ينقل بصره بين ريم و يحيي محاولا تغيير مجرى الحوار : ايه يا يحيي انا يعني معرفشي اشوفك ابدا غير يوم الجمعة

يحيي بأبتسامة : ما انت عارف الصبح في المستشفى و بعد الظهر في العيادة

محمود : طب ما تخلي العيادة يومين و لا تلاته في الاسبوع و ريح الايام الباقية

يحيي : انا بحب الشغل و مبحسش بالوقت اصلا في العيادة

سمية متدخله : يا كبدي عليه يروح لأيـــه بس

يحيي منتفضا و لا زالت الابتسامة علي وجهه : طيب يا جماعة... انا هطلع اريح كدة لحد الصلاة..

سُمية بلهفة : رايح فين هو انا لحقت اشبع منك

يحيي و هو يقترب منها و يُقبل رأسها : هجي لك بليل و نسهر سوا باذن الله

سمية بحزن : ماشي يا يحيي انت كدة كدة هتمشي اللي ف دماغك

يحيى انحنى ليُقبل الصغيرة و قال لريم : ابقي سلمي لي علي رؤف لما ييجي

ريم و هي تلوي شفاهها : يوصل و انت ابقي وصل سلامي لهالة

يحيي و هو يُغادر : حاضر.. يلا سلام عليكم

ما ان غادر يحيي حتي قال محمود بأنفعال و هو ينظر لريم : ايه لازمة الاسطوانه اللي سمعها علي الصبح دي.. يعني غيرتو دمه و استريحتو

ريم بعصبية : انت بتبص لي ليه.. أنا عملت حاجة

محمود بغضب : ريم هو انت هتفضلي طول عمرك كدة .. حاطة هالة ف دماغك.... مش علي اساس انها صاحبتك... قلبتي عليها من ساعة ما يحيي اتجوزها

ريم بأضطراب : و اقلب عليها ليه و انا مالي و مالها اصلا

سُمية بحسم : خلاص مِنَك ليها انتهيتا بقه..

ثم مخاطبة سارة : و انت هتفضلي قاعدة كدة

سارة بتعجب : طب اعمل ايه

سمية بغضب : قومي شوفي هتعملي ايه للغدا و لا هنقضيها حكاوي

سارة ألتفتت لزوجها بغضب كأنها تستنطقه ليرد عنها فتشاغل مع ابناه بعمد فألتفتت نحو سمية و هي تكتم غيظها و قالت : حاضر من عنية ..... يلا يا ريم ايدك معايا

ريم بتذمر : انتم هتجبوني تشغلوني و لا ايه.. انا ضيفة جايه ساعتين و ماشية هتشغلوني فيهم

سارة بغيظ : دلوقتي ضيفة

سُمية مقاطعه بأنفعال : خلاص متزعلوش اقوم انا اشتغل

محمود بحسم لسارة : خلصينا و شوفي ماما بتقول ايه اعمليه

فتحت سارة عينها علي آخرها من رد فعل زوجها... نظرت له و كأنها تُشهده علي نفسه ثم ألتفتت و توارت في المطبخ

محمود لـريم : ايه مش ناوية تقومي تورينا جمال خطوتك

ريم بتذمر : انت هتنصر مراتك علينا

محمود منتفضاً من مكانه : لا انصرها عليكم و لا انصركم عليها احنا مش ف حرب.. انا مليش ف قاعدة الحريم انا هروح اقعد ف المسجد لحد الصلاة

ثم اضاف و هو ينظر لسُمية : عاوزة حاجة اجيبها لك و انا جاي يا ماما

سُمية بحب : مانحرمشي منك يا حبيبي

محمود : سلام عليكم

ما كاد محمود يخطو خطوة امام باب الشقة حتي وجد زوج اخته في وجهه

رؤف بحماسة : ازيك يا محمود

محمود بأبتسامة : الحمد لله.. ازيك انت يا رؤف

رؤف بحماسة : الحمد لله كويس.. انت رايح فين كده

محمود : رايح الجامع اقعد لحد وقت الصلاة.. ما تيجي معايا.

رؤف بأضطراب : طب استني لما اعرّف ريم اني جيت و هروح معاك

فتح محمود عينه مستنكراً ما يفعله رؤف... لا يستطع ان يفعل شي و لا يخطو خطوة دون اذن من ريم... وقف ينتظره و هو يتعجب من أفعاله

دلف رؤف للداخل و توجه مباشرة نحو ريم حتي دون ان يُلقي السلام او يُسلم علي حماته...

رؤف لريم : اروح مع محمود نستني الصلاة ف الجامع

ريم بعصبية : تروح معاه تعمل ايه اقعد و بعدين انت لا ليك ف الجوامع و لا قاعدتها..

تحرك رؤف ليُخبر محمود انه لن يأتي معه فأستوقفته ريم بقبضة يدها و هي تُمسك جلبابه : انت رايح فين

رؤف : هقول لمحمود اني مش جاي معاه

ريم بعصبية : لا تقول و لا تعيد اقعد و اسكت

جلس رؤف و كأن شيء لم يكن.. ظل يتابع التلفاز... كان محمود بالخارج ينتظره.. طال وقوفه... ضحك و ضرب كف بكف و هو يحرك رأسه و تحرك يُغادر... حتي دون ان يدخل و يرى ماذا حدث... وصلت له الصورة.. ريم لم تُعطيه الإذن..

كانت سارة بالمطبخ... تطهو الطعام بنار غضبها... تزفر بشدة مغتاظة و هي تسمع اصوات التلفاز العالية و تعليقات ريم و امها علي المسلسل. .. سارة اخت سلمي تصغرها بأربع أعوام ... تزوجت محمود زواج تقليدي... امه اتت لأمها و رأتها و اتفقت علي كل شيء.. حتي انها لم ترى محمود الا يوم شراء الشبكة... لا تتذكر حتى أنها وافقت عليه.... لم يكن يأتي لها العرسان اختها لم تتزوج فالخُطاب يأتو علي اسمها... تراها ترفض هذا و ذاك... هذا يريد راتبها و ذاك ابن لامه.. تُفند و ترفض فخشت ان تفقد فُرصها بسبب تلك الأفعال... قالت لها صديقة ان العرسان لا يريدو الدخول لبيتهم لانهم يتفادون الرفض... حين اتت سُمية لخطبتها و برغم انه اول خُطابها الا انها خافت ان رفضت ان تبور... وافقت بل و نهرت اختها حين نصحتها ان تطلب الجلوس معه و تُصلي استخارة.. لازالت تذكر بما ردت عليها وقتها... قالت لها بالحرف انتِ عاوزاني اقعد جنبك... ليتها جلست بجانبها... ليتها رفضت الزواج منه... محمود ليس سيئاً.. لكن الزواج منه غاية في السوء... محمود جاف... لا تشعر انه زوجها... لو لم ترى غير ذلك الوجه منه ما عتبت لكنه أراها غير مرة وجه آخر.. وجه الزوج... الرجل الذي تمنت ان تقضي معه حياتها... لم تعد ترى ذلك الوجه

منه... لا زالت في الثلاثينيات فلِم يتصرف و كأنهما بمنتصف العمر.... حتى تلك اللحظات الحميمة... باتت روتينية... هامدة..بلا طعم و لا شهية... بلا حياة... محمود ليس بخيل و ليس كريم.. يعطي لأن ليس هناك غيره يُعطي... يصرف و يأتي لهم بما يحتاجوه و ما يطلبوه فقط لان ليس هناك غيره يفعل.... لكن إن وجد من يتحمل هم البيت من تنظيف و ترتيب و غسيل و طبخ و رعاية الأطفال.. فليس هناك اي داعي لمد يد المساعدة و لو بأقل القليل فقط يعرض تقديمها... هكذا اذا الزواج من محمود.. ليست مشاركة بل شغل أدوار ... لا تشعر انه يُحبها و لا يعاملها تلك المعاملة التي تقول انه يكرهها...لكنه بما ليس فيه ذرة شك لا يراها تستحق دعمه او دفاعه عنها و مؤازرتها كما يفعل يحيى مع هالة.. لا يسمح يحيي لامه او اخته ان تأذي زوجته بكلمة... يحافظ عليها حتى في غيبتها... لم يتخلى عنها رغم انها لا تُنجب.... برغم كلمات الجميع و صرخات امه و محاولاتها اقناعه إلا انه لم يستجب.... انتبهت سارة ليد تهزها... كان صغيرها.. انحنت و حملته..

سارة بحب : ايه يا مروان جوعت و لا ايه

مروان لف ذراعه حول رقبة امه و احتضن رأسها فأبتسمت و تنهدت براحة... لم تُحرر نفسها منه... ظلت

تتنفس عبره... كأنها تُذكّر نفسها ان البيعة لم تكن رغم كل شيء خاسرة... لديها ابنيها و سيكونان يوماً ما سندها... هكذا إذا الحياة ليس معني ألا ندركها كلها ألا نتمسك و لو بقليل منها.. و في حالة سارة قليلها ليس بقليل... أنهما فلذة الكبد و لُب الفؤاد و قرة العين... بضعة منها و كل ما تحيا من اجله.. ابنيها مروان و أحمد....

....

في الشقة بالدور الثالث بنفس العقار.. شقة يحيى و هالة.. دخل يحيي الشقة و منها لغُرفته.. ... كانت هالة لاتزال مُستلقية.. كان واجماً... خلع عنه جلبابه و دنا من الفراش... استلقى علي ظهره بجانبها لكنه لم يقترب منها... وضع ذراعيه تحت رأسه و أخذ يتتبع ببصره المروحة في السقف و هي تتحرك... تتحرك بسرعه تُسابق ريّشها بعضا.... و ماذا بعد... بلا فائدة. . و كذلك أنا... لم تكذب امي.... لم كل هذا... عيادة و جهد لمن... حتي هذي الشقة لن تظل تحمل أسمى... سيشغلها أبناء محمود... انا مبتور... سأُجتز كشجرة بلا فروع... لم لا اتزوج.. أليس تلك إحدى حالات التي تُجيز التعدد... أحب هالة لن أطلقها... سأتزوج بأخرى فقط لتأتي لي بطفل ... لن أُحبها.. فقط سأتي منها

بطفل.. ستُعارض هالة اذا ليس هناك داعي لتعرف....
انتبه ليده تتحرر من تحت رأسه... مال فوجدها هاله قد توسدت ذراعه و تلاحمت بجسده... ابتسم.. ليبادلها ابتسامتها الضاحكة

هالة بأبتسامة : طلعت تاني ليه

يحيي : عادي قلت اريح شوية

هالة بجدية : قلت تريح شوية و لا سمعت كلمتين من الجماعه

سحب يحيي ذراعه من تحت رأس هاله بعصبية و اعتدل في جلسته و قال بغضب : هو في ايه... قلتي مش عاوزة تنزلي قولت لك براحتك... دلوقتي عاوزة تعملي قصة و موضوع عشان تباني مقهورة

هالة بغضب و قد اعتدلت في جلستها : لا قصة و لا مقهورة... هم كده كدة بيقولوا انا مش بتبلى عليهم

يحيي بغضب مقاطعاً : و المطلوب... اقطع لسانهم عشان تستريحي و لا ما هو اسهل تروحي لدكتورة و تشوفي العيب ف اية

هالة انتفضت من السرير و قالت بصوت صارخ : العيب في ايه... العيب في ايه يا دكتور يحيي... هي كدة يعني

يحيي انتفض هو الاخر من السرير و مسح وجهه و شعره بقوه و دنا من هالة و قال بوّد : اهدي يا هالة... انا قصدي متحطيش في دماغك الحاجات دي.. يعني انا معنديش مشكلة بس لو الموضوع مهم عندك روحي لدكتورة

هالة ببكاء : مش فارق معاك بس فارق مع امك

يحيي و هو يبتعد عنها و يهوى بيديه مقبضه في الهواء : يوووووووه دي مبقتشي عيشة دي..

ثم اضاف و قد اعطاها ظهره و جذب جلبابه الابيض يرتدية : انا سيبها لك.. نامي بقه فيها براحتك..

اسرع يحيي حتي باب الشقة فتحها و خرج و صفق الباب بقوة وراءه... فيما خرت هالة علي السرير و قد علا صوت بكائها... ظلت ترفع رأسها و تهوي به علي السرير كأنها تضرب نفسها.. تُعاقبها عما فعلت... دقائق و هي بنفس حالتها.. سمعت صوت جرس الباب.. اعتدلت... هل نسى مفتاحة.. عاد ليُصالحها... اسرعت للخارج لتفتح... كانت مُتحمسة... الدموع

لاتزال علي وجهها و شعرها مُتطاير... كانت تحاول رسم ابتسامة علي وجهها.. تلاشت حين ظهر وجه القادم.. كانت سارة.. كانت مصدومة مما بدت عليه هالة ...التي تركت لها الباب مفتوح و التفتت لتدخل... دلفت سارة و اغلقت الباب... كانت هالة قد جلست علي إحدى كراسي الانترية.. وضعت رأسها بين كفيها و نكستها.. اقتربت سارة و جلست بجانبها.. كان الصمت قد ساد لا يقطعه سوى نهنه هالة و هي تلتقط انفاسها من بين دموعها... كانت سارة لا تصدق ما ترى.. كل هذي الدموع لِم.. قربت نفسها من هالة و مدت يدها تُربت عليها.. زاد بكاءها...

سارة بتأثر : مالك بس يا هالة صلي على النبي كده

هالة بصُراخ و هي ترفع رأسها و تنظر لسارة بعينان مُثقلة بالدموع : عليه الصلاة والسلام..

سارة بدهشة : في ايه بس.. انا لقيت يحيى نزل قلت اطلع اقعد معاك مكنتش عارفه انكم متخانقين

هالة ببكاء : مش متخانقين... اول ما جبت سيرتهم كأني دخلت الجامع بالجزمة... لقيته بيقول اقطع لك لسانهم و لا روحي شوفي العيب ف ايه

سارة بصدمة : عيب ازاي يعني

هالة بعصبية باكية : العيب يا سارة.. العيب اني مش بخلف

سارة بتأثر : ده رزق يا هالة و بعدين هو يحيي اصلا مش حاطط ف دماغه الموضوع فسيبك من اللي بيتكلم

هالة و قد اشتد عليها البكاء : موضوع ايه يا سارة.. الموضوع اصلا اني انا اللي مش حاطة ف دماغي

سارة بأستغراب و هي تقرب رأسها من هالة تتفحصها : تقصدي ايه يا هالة

هالة و هي تمسح الدموع عن وجهها و تلتقط انفاسها لتهدأ : بصي هقولك سر بس اوعي تخرجيه بينا

سارة بترقب و قد فتحت عينها علي آخرها : قولي و الله سرك ف امان

هالة بثقة و قد كف عنها البكاء : انا العيب مش فيه

سارة بصدمة : نعم

هالة : انا من سنتين لما بدأ الزن عليه و التلميحات اني اتأخر الحمل روحت للدكتورة مع اخويا أسامة و قالت اني مفيش اي سبب يمنع اني احمل

سارة و لازال عليها اثر الصدمة : طب ليه مقولتيش.. ليه معرفتيش يحيى علي الاقل

هالة بأضطراب : و مين قالك ان يحيي مش عارف

سارة علي نفس الحالة : يحيي عارف

هالة و هي تنتفض من مكانها تمسح علي شعرها لتهندمة : هو انتِ مفكرة ان فيه راجل مُخلص و ممكن يتنازل عن حاجة عشان حد

ة بذهول : بس يا هالة

هالة مقاطعة و هي تنظر لها بعيون خالية تماماً من الدموع : مفيش بس يا سارة... فوقي لنفسك الرجالة ملهمشي امان صدقيني

....

في الشقة بالدور الثاني من نفس العقار.... شقة محمود و سارة.. كان اليوم قد انتهي و صعدو لشقتهما مع صغيريهما... في غرفتهما كان محمود قد خلع جلبابه و جلس علي حافة السرير يتابع شيء علي هاتفه المحمول. . كانت سارة لازالت كلمات هالة تدوي في اسماعها... الرجال ليس لهم أمان... و هذا ما اختبرته اكثر من مرة مع محمود.. بدلت ثيابها و ارتدت عباءة قصيرة بدون اكمام و فردت شعرها علي ظهرها و ظلت تنظر لمحمود تتابعه... كانت لاتزال غاضبة من موقفه المُخذل معها... جلست علي الطرف الاخر من

السرير... انتبه محمود... ابتسم و وضع هاتفه علي الكومودين بجانبه و ألتفت ليجدها قد استلقت و اعطته ظهرها و تدثرت بغطاء خفيف.. دنا منها... قرب وجهه من وجهها... مد يده يرفع شعرها عن اذنها برفق... كانت تدعي النوم...سمعته ينادي سارسورة.. زفرت بقوة و ألتفتت ناحيته و اعتدلت... صدمه رد فعلها.. ابتعد عنها و نظر لها بعينين مفتوحتان علي اخرهما...

سارة بعصبية : عاوز ايه يا محمود

محمود بذهول : هو ايه اللي عاوز ايه

سارة بعصبية : يعني انا تعبانه من كتر الشغل طول النهار في المطبخ عند امك و مفياش حيل ليك انت كمان

محمود بغضب : انت ازاي بتكلميني كدة... انت اتجننتي ولا ايه

انتفضت سارة من مكانها و اضافت بغضب : لا ماتجننتش بس انا انسانه مش الشغالة الفلبنيه.. يعني ايه ان كلكم يبقي النهاردة اجازة ليكم و انا افضل طول اليوم اطبخ و انظف و امك تحكّم رأيها ما اطلعشي الا لما اغسل المواعين.... و دلوقتي جاي تكمل عليه... هو فيه ايه

محمود و قد انتفض و وقف أمامها و بدا عليه الغضب الشديد : انت اتجننتي يظهر عليك... ده دورك يا هانم... مفيش حد بيأخد اجازة من مسؤليته.. انا مبجيش يوم تقولي لي هات كذا و لا اعمل كذا و اقولك انا اجازة

سارة بغضب : انت مبتشتغلشي زيي و لا شايل الهم زيي... انا طول اليوم بكنس و انظف و اراعي العيال و اخدم امك... و من حقي استريح شوية

محمود و هو يقترب منها حتي كاد يلتحم بها و قبض علي ذراعها حتي كاد يعتصره و جذبها نحوه و قال بلهجة تهديد : انا ممكن اريحك خالص... انت جيتي هنا بطولك... الباب مفتوح... روحي اقعدي جنب اختك جربي الراحة بتاعتها كدة... بس عيالي انسي انك هتشوفيهم... و كدة و لا كدة انت أساساً عاورة تستريحي منهم..

قال محمود كلمته و دفع سارة بقوة نحو السرير و لم يُلقي بالاً لشي ألتفت يُغادر 'و دوى بجملته الاخيرة

محمود بحسم و هو يغادر الغرفة : إن كنتي تعبانه يبقي ما تناميش جنبي و روحي نامي جنب عيالك... انا رايح الحمام و جاي و انتِ براحتك

ظلت سارة بحالتها التي ألقاها بها محمود... كانت واجمة.. لا تدري ماذا تفعل... ليست تلك الحياة التي حلمت بها... لم تتزوج لتصبح وسيلة اشباع و إرضاء للجميع.. لن تستطيع العودة مرة أخرى لتكون بنت حتي و لو خرجت بدون ابنائها... و هل تجرؤ علي تركهما... ظلت مستلقيه بنفس وضعيتها شاخصة البصر حتي دخل محمود مرة اخرى أعتدلت و لا زالت واجمة... وقف محمود بعيداً عنها ينظر بتهكم.. ثم توجه للناحية الأخرى من السرير.. استلقي و اعطاها ظهره... كانت قد فتحت عينها علي آخرها... الان يعزف عنها... كأنه فقط اراد يثبت لها انها فقط و بأختيارها ستختار ما يريده هو... رفعت رجلها في صمت و استلقت علي حافة السرير واضعه كلا يديها تحت رأسها و اغمضت عينها فلم تكد تطبق جفناها حتي تحررت دموعها ... دموع الغُلب و القهر....

....

في الطابق الاول من نفس العقار.. لايزال يحيي يجلس مع امه كما وعدها و بعد ان غادر الجميع... كانت تُتابع إحدى المسلسلات التي تقضي جُل وقتها أمامها..... انتهى المسلسل الذي كانت سُمية في قمة تركيزها معه... فيما كان يحيي يجلس معها بجسده و ينظر

للتلفزيون و ذهنه بكل حواسه يُفكر في حاله و وضعه... انتبه ليد امه تهزه..

سُمية بحب : ايه يا يحيى انا طفيت التلفزيون لسه باصص عليه ليه

يحيى رسم ابتسامة سريعه علي وجهه و انتفض قائماً : طيب يا ماما ألحق بقه اطلع انام عشان بصحي بدري

سمية بتأثر : هتفضل لحد امتي علي الحال ده

يحيي جلس مرة اخرى و قال بنفاذ صبر : حال ايه يا ماما

سمية بعصبية : هو في ايه تكونشي عملالك عمل

يحيي بأنفعال : عمل ايه بس و كلام فارغ ايه

سمية بغضب : بقه كلامي كلام فارغ يا يحيي

يحيي مسح علي وجهه بقوة ثم مسك يد امه و تقرب منها و قال بهدوء : انا مقولتش كدة... و مقدرشي اقول كدة..

ثم اخذ نفس عميق و قال بهدوء : يا ماما انا مش عاوز أظلم هالة و لا اجرحها... يعني انا لو كان العيب فيه كنت هحب انها تفضل معايا و تشتريني

سمية بغضب مقاطعه : بعد الشر عنك و الحمد لله انك سليم و تقدر تجوز اتنين و تلاته و اربعه كمان و حقك انت مش هتعمل حاجة حرام

يحيي بتأثر : الظلم حرام يا ماما

سمية بأنفعال : مين جاب سيرة الظلم دلوقتي... يا بني اتجوز و اعدل بينهم

يحيي مقاطعاً : مش هقدر أعدل يا ماما... يا ريتني اقدر.. انا بحب هالة

سمية صارخة : انت عاوز تستغضب قلبي يا يحيى... عاوز تشتري خاطر مراتك علي طاعتي يابن بطني

يحيي بتوسل و هو يُقرب يدها من صدره : انا مقدرشي علي زعلك يا ماما و الله كله إلا زعلك

سمية بجمود : مش باين

يحيى بتوسل : يا ماما متصعبيهاش عليه بالله عليكي

سمية بتهكم : للدرجة دي شاري ودها عن رضا امك

يحيي بأنفعال و قد قام منتفضاً من مكانه : يعني اموت نفسي عشان ترتاحو

سمية ببداية بكاء : بتشخُط فيه يا يحيي...

يحيي ركع علي ركبتيه تحت رجل امه ليصبح تحت مستوى نظرها و قال بتوسل : طب انت بتعيطي ليه دلوقتي

سمية باكية : بعيط علي عمري اللي قضيته ارضيك انت و اخواتك و في الآخر مستكتر علي اشوف عيالك قبل ما اموت

يحيى و قد بدأ يبكي : طب متعيطيش و هعمل لك اللي انتِ عاوزاه

سمية و لازالت تبكي : انا عاوزة حِسك يفضل في الدنيا

يحيى ببكاء و هو يضع رأسه علي فخذ امه و قد أغمض عينيه و لازالت تسقط دموعها : حاضر يا ماما..... هعمل كل اللي انتِ عاوزاه

سميه و هي تمسح علي شعره بحب : و انا مش عاوزه غير راحتك يا حبيبي

....

في الـ شقة في الدور الثالث بنفس العقار... كانت هالة تجلس في غرفتها منذ تركها يحيي في الصباح و لم يأتي لها... حاولت الاتصال عليه لكن كعادته يُغلق هاتفه في كل خلاف بينهما... كانت قد قضت اليوم باكية

حتي اذا ما اتعبها البكاء غفلت بمكانها ثم عادت مره اخرى لبكائها... كانت تنتظر يحيي في اي لحظه سيأتي و يراها علي تلك الحالة فيسترضيها... لكنه لم يأتي... لن تنام قبل ان يُصالحها... قبل ان يُقدم فروض الطاعه و يثبت ولاءه لها... كان اثر البكاء قد زال عنها و لم تعُد عيونها تجود بدموعها... لن تُساندها هذي المرة... ستستخدم باقي اسلحتها.. قامت من مكانها و اسرعت للحمام غسلت وجهها و عادت للغُرفة... فتحت دولابها و اخرجت قميص نوم ابيض و في دقائق وارت جسدها فيه.... وقفت امام مرأه التسريحة تتفحص نفسها بأعجاب....مدت يدها و لا زالت عيناها علي المرآة.. ما كادت تُحرر شعرها حتي سمعت صوت فتح باب الشقة... ابتعدت عن المرآة بسرعه و وقفت بنصف الغُرفة... دقائق و وجدته أمامها... كان مُقفهر الوجه... عيناه ناديه و كأن عليها اثر البكاء... كان شارد النظرات... لم ينتبه لهالة.. حتي أقتربت منه و ألحمت جسدها به و لفت ذراعها حوله... لم يتفاعل يحيى مع فِعلتها... كان مُخدر بدموع امه و افكاره من قبلها.... تحرك نحو سريره و تحركت معه.. وقف بجانب السرير... ما كاد يجلس عليه حتي ادارت هاله نفسها و احكمت ذراعيها حوله فصارت في مرمى بصره... تطلعت نحوه... فتلاقت عيناهما... ابتسمت فأبتسم لها...

رمت بنفسها في حضنه رفع يده فمسح بها علي شعرها... ابعدت نفسها عن حضنه و لازالت ذراعها حوله.. و قالت بدلال

هالة بدلال : كده برضوه موحشتكشي

يحيي بأبتسامة : وحشتيني طبعاً

حررت هالة ذراعها من حول يحيي و ادارت له ظهرها و قالت بحزن مصطنع : مش باين... تسبني لوحدي طول اليوم و متفكرشي حتى تتصل تطمن عليه

يحيي معتذراً و قد تحرك ليكون في مرمى بصرها و وضع يديه حول وجهها : طيب متزعليش... انا بس مش بحب كلام كتير في الموضوع ده و انت بتصممي تفتحي فيه

هاله و هي تقترب منه و تضع نفسها في حضنه : انت مبتحبش كلام ف الموضوع بس و لا فعلاً مش بتفكر فيه

يحيي بأبتسامة : انا يا هالة بحبك و مش عاوز غيرك..

هاله و هي تبعد نفسها عنه و تتطلع في عينه : و العيال

يحيي أخذ بـيدها و أجلسها علي السرير و جلس بجانبها و قال بأذنها هامساً : لو مش منك يبقي مش عاوز

... .

في بيت مكون من طابقين.. حيث تعيش سلمى بمفردها بعد وفاة والديها و زواج اختها الوحيدة سارة... كانت قد اسندت ظهرها للحائط و ضمت فخذيها لصدرها و هوت برأسها عليهما بعدما انتهت من صلاة الفجر كما تعودت... اليوم التاسع من الشهر الخامس بعد عامها التاسع في عقدها الرابع... تمر الأيام بسرعه و كأنها تُسابقها ... عجباً لها تمضي مر السحاب و دقائقها تتزحزح كالجبال.. تُهلك نفسها في العمل ما بين المدرسة و الدروس الخصوصية حتي لا تشعر بالوقت و بالكاد ينتهي اليوم بخروج الروح.... تنهدت و نهضت متثاقلة... أخرجت جلباب و خمار.. نفس جلباب البارحة و لعلها ارتدته منذ بداية الاسبوع... لا يهم و لن ينتبه احد حتي لذلك.. فصورتها كعانس يطغي على هيهأتها ...بدلت ثيابها و حملت حقيبتها و خرجت متحاشيه النظر في المرآة... أغلقت باب الشقة و اطلقت رجليها مهرولة كعادتها حتي لا يراها احد و كأنها هاربة من دين او مطلوبه بثأر ..... وصلت للمدرسة كالعادة

باكراً... ألتف حولها التلميذات و التلاميذ الصغار... يتمسحو بها بتودد... فمثلها لا يرى حقيقتها إلا من لم يتلوث بشهوات الدنيا و صراعاتها... كزوجة تراها خطر علي زوجها او اشباه رجال يطمعون فيها.... كانت هي الاخرى ترى نفسها بينهم... تقضي يومها كله تتنقل ما بين حصة هنا و أخرى هناك هذي اساسي و تلك احتياطي... تُعامل و كأنها آله... لا تتعب... تأخذ حصص فوق نصابها و إشراف فعلي طوال ايام الاسبوع... تأتي باكراً لتُغطي علي تأخر الاخريات بحجة ان لديهن اولاد و مسؤليات اما هي فبلا... تطلب منها هذي او ذاك ان تأخذ الحصة الاخيرة مكانه حتي يستطيع العودة باكراً لامر لا يحتمل التأجيل اما هي فما يهم إن عادت مُتأخرة او لم تعُد حتي... يفعلو ذلك لغاية في نفسِهم و تقبله لغاية بنفسها... يستغلوها لحاجاتهم و اطماعهم و لا يدرون انها تعتبره لُطف خفي بها حتي تقل ساعات وحدتها..... وقفت بعد ان اصطف الطابور.. تتابعهم بأبتسامتها التي ترتسم رغم عنها... رأته من بعيد... يدخل كعادته متأخر... لا يزال مدرس رغم اقترابه من سن المعاش... يحبه الاطفال ... يتعالي اصواتهم بالضحك اذا كان هو مدرس الحصة... مظهره رث... لا يهتم بهيئته... اصلع ذا لحية بيضاء برغم كثافتها الا انها لم تُخفي ابتسامته لا تستطيع الا ان

تبادلها بأبتسامة اوسع منها.... لم يُصادف ان تحدثت معه قط.. الا ان نغمة صوته استطاعت تمييزها حين

سمعته ينادي عليها من بعيد... لم تصدق نفسها.. كان يتجه نحوها.. فتحت عينها علي آخرها.. اختفت الابتسامة من علي وجهها..... كان قد اصبح امامها حين تخطاها.. ألتفتت بتلقائية وجدت فتاة صغيرة بعمر الاربعة اعوام تتعلق برقبته بلهفة... أخذت تُقبِل وجهه بشقاوة و كأنها تُعنفه... كان يتألم و كأنه يسترضيها.. تغبرت ملابسه من حذاء الصغيرة و تبعثر هندامه و لم يبالي... ظل يداعبها و يُضاحكها غير عابئ بنظرات من حوله.. كانت هي الاخرى تُتابعه.. عادت الابتسامة لوجهها و اتسعت متفاعلة مع مرحهم حتى كادت تقهقه بصوت... بهتت ابتسامتها حين انتبهت لمرور المديرة بها نحوه.... وقفت بغضب تؤنبه أمام الصغيرة و تصرخ به تخبره انه لا يصح ان يأتي بأبنته للمدرسة... كان يتلقي التعنيف بأبتسامة واسعه يعتذر و يستسمحها... اما الصغيرة التي لاتزال متعلقة برقبة والدها فقد ادرات وجهها للخلف و نامت برأسها علي كتف ابوها و كأنها لا تريد ان تشاهد ما يحدث... انتهت وصلة التعنيف و انصرفت المديرة بغضب فتحرك هو بالصغيرة نحو البوابة.. لاتزال تُتابعه... وضعها مع

الفراش و شاور لها بكلتا يدية و بعث لها بالقُبل في الهواء فكانت تتلقاها و تُبادلها معه.. كان المشهد رائع لسلمي التي ما ان انطلق هو تاركاً الصغيرة حتي وجدت نفسها تذهب هي و تأخذها.. استوقفها الفراش عم محمد

عم محمد : دي مش تلميذة يا ابلة سلمي. . دي بنت الاستاذ ربيع

سلمي بأبتسامة و قد حملت الصغيرة : ما انا عارفة يا عم محمد

عم محمد : طب هتاخديها ليه و بعدين الاستاذ ربيع مش ناقص مشاكل سيبيها هنا معايا

سلمي مقاطعة و قد بدأت تتحرك : خليها علي الله .. لو جه الاستاذ ربيع يسأل عليها ابقى قوله أنها معايا

تحركت سلمي بعد ان انزلت الصغيرة لتمشي وقد امسكت بيدها فكانت تقفز بمرح و كأنها تلاعب نفسها.. صعدت للفصل... ما ان دخلته حتي جلس كل تلميذ بمكانه كما عودتهم و وضعوا اصبعهم علي فمهم حركة القفل.. ابتسمت سلمي و أكملت طريقها لاخر الفصل... اجلست الصغيرة في اخر مقعد و فتحت حقيبتها و

اعطتها شيكولاته بعد ان فتحت غلافها لها و قبّلت رأسها...و قالت و هي تمسح علي شعرها

سلمي بحب : اسمك ايه يا عسولة

الصغيرة و هي مشغولة مع الشيكولاته : ألما بيعو

كان الفصل صامت فلما قالت الصغيرة جملتها ضج بالضحك و حصل هرج و مرج حتي ان سلمي نفسها ضحكت... اعادت سلمي الهدوء للفصل و أعادت السؤال مرة اخرى فأتاها الرد

الصغيرة بنفاذ صبر : ألماااااا بيعوووو

علت الاصوات مرة أخرى بالضحك فلم تتمالك سلمى نفسها و ضحكت هي الأخرى... اخرجت شيكولاته اخري للصغيرة و فتحتها لها و انحنت لتقترب منها و قالت

سلمي بأبتسامة : بصي خدي شيكولاته كمان اهي... و لو فضلتي قاعدة ساكته طول الحصة هديكي واحدة كمان لما الجرس يضرب... متفقين

كانت الصغيرة عينها مُتعلقة بالشيكولاته التي جذبتها من يد سلمي و اومأت برأسها موافقة... ضحكت سلمي و اعتدلت في وقفتها و تحركت للامام لتبدأ حصتها...

كانت تشرح و تُتابع الصغيرة التي انشغلت باللعب بورق الشيكولاته... كان التلاميذ ينظرون بفضول كل فترة نحوها هم الاخرين... انتهت الحصة و ضُرب الجرس... حملت سلمي حقيبتها و ذهبت لتأخذ بيد الصغيرة... كان التلاميذ قد ألتفو حولها بفضول.. أتت سلمي و اخذتها من بينهم... انتبهت لصوت إحدى التلميذات تقول

التلميذة : يا ابلة اقولك اسمها ايه

سلمي منتبه : قولي يا جهاد

التلميذة : اسمها سلمي ربيع

سلمي و قد فتحت عينها علي اخرها و اتسعت الابتسامة علي وجهها حتي بدت منها نواجزها و بدأت تتحرك و في يدها الصغيرة : ماشي يا جهاد شكراً

التلميذة و هي تتبع سلمي : مش هاخد شيكولاته

سلمي مدت يدها في حقيبتها و اخرجت واحدة اعطتها لتلميذتها و انطلقت خارج الفصل... كانت تنظر للصغيرة وهي تقفز بمرح و يكاد قلبها هي يقفز من السعادة... دخلت فصل آخر و فعلت مثلما فعلت سابقاً... كانت تشرح و هي مبتسمة كعادتها لكن هذه المرة كانت تبتسم بسعادة حقيقية... كانت عيناها مُتعلقه بأخر الفصل

بالصغيرة التي تعلق قلبها بها و كأنها ابنتها.... لا تدري كيف حدثت ذلك... كانت ملامح الطفلة مُميزة.. لديها شكوكها لكنها ترفض ان تُصدقها... انتهت الحصة فأسرعت سلمي لتأخذ الصغيرة و كأنها قد صارت جزء من روتينها... تحركت لحصة اخري و اخري... لم تنتبه لنظرات المدرسين و المدرسات و لا همهماتهم.. اعتادت عليها لم تهتم بأن السبب مُتغير... لم تنتبه حتى اين ابوها و كيف نساها و لم يسأل عنها... و كأنه قد تنازل عنها لها... انتهى اليوم و لازالت الصغيرة تتحرك مع سلمى غير عابئة بشيء... لكنها ليست لها... يجب ان تُعيدها لابوها... كانت سلمي قد وقفت في فناء المدرسة و في يدها الصغيرها تتلفت تبحث عن الاستاذ ربيع... اين هو... بدأت المدرسة تخلو من المدرسين و التلاميذ... و اين هو... تحركت سلمي لباب المدرسة... وجدت عم محمد الفراش يُسرع نحوها...

عم محمد بلهفه : ايه يا ابله سلمي من ساعه الجرس ما ضرب و انا مستنيكي... مش عارف اسيب البوابه و ادخل ادور عليكي احسن عيل من العيال يُقع و هما بيتزاحمو

سلمي و هي تتابع محمد و هو يجذب الصغيرة نحوه : هو فين الاستاذ ربيع

عم محمد بحزن : جاله تليفون ضروري و مشي من الحصة الثانية.. و قالي ابقي اروح سلمي بعد ما المدرسة تخلص

سلمي بدهشة : تروحها فين

عم محمد بحزن : ما هو الاستاذ ربيع مش من بلدنا هنا... ده من الكفر اللي جنبنا

سلمي بفضول : هو في ايه يا عم محمد

عم محمد بحزن و قد بدأ يتحرك : مفيش حاجة...انا هخدها اروحها و ربنا يبارك لك علي اللي عملتيها...

سلمي بلهفة و هي تمسك الصغيرة لتستوقف محمد : طيب بقولك ايه. . قولي العنوان و انا اللي هروحها

عم محمد بدهشة : ازاي يعني

سلمي بأضطراب : يعني انا عندي درس خصوصي في الكفر و كده كده رايحه.. بدل انت ما تركب مواصلات و تتغرم الموصلات انا هوديها في طريقي

عم محمد بأمتنان : ربنا يسترك يا ابلة سلمى.. و الله انت بنت حلال

ابتسمت سلمي و هي تستمع لمحمد و هو يُملي عليها العنوان.. حملت بعدها الصغيرة علي كتفها و غادرت و هي في قمة سعادتها...

مشت سلمي في الشارع تكاد من سعادتها ان تُحلق... لم تشعر بنفسها الا و هي أمام بيتها... فتحت و دلفت و لازالت الصغيرة علي كتفها مستسلمة... وضعتها علي الكنبة بهدوء... كانت نائمة.. جلست بجانبها و هي تتطلع لها بحب... ليست لها... يجب ان تُعيدها... دخلت غرفتها و فتحت الدولاب و اخرجت محفظة و خرجت و وضعتها في حقيبتها... انحنت و حملت الصغيرة و غادرت المكان.. كانت تمشي في الشارع مفتخرة.. منتشية بذاك الشعور و ان كان زائف.. وقفت بموقف الميكروباص تنتظر واحد... كان المكان خالي و لاول مرة تمنت لو يراها احدهم.. تحمل طفلة ليست لها و من سيدري... أتى الميكروباص فركبت... اخذت الكرسي كله لحسابها لتُريح الصغيرة في نومتها.. تحركت السيارة و تحرك معها قلبها يكاد ينخلع... لا تدري تشعر بالفقد منذ الآن... ستُعيدها... كانت تنظر لها بحب و حزن... توقفت السيارة و نزل الجميع... حركت سلمي بصرها نحو السائق منتبه له و هو يُخبرها ان تنزل.. نزلت و مدت يدها تسحب الصغيره

التي استفاقت من نومتها.. اخذت بيدها و مشت تتطلع في الوجوه التي كانت تنظر لها بأستغراب و كأنهم ينكروها... .. كانت تبحث في وجوههم عمن تسأله عن وجهتها.. انتبهت لاقتراب احد الفتيات بزي مدرسي مهترأ منها ... حررت الصغيرة يدها و اسرعت نحوها... إذا هي تعرفها.. تابعت حوارهما

الفتاة بحب : فين سُهيلة يا لومة

الصغيرة : رفسي

سلمي مقاطعة : هو فين بيت الاستاذ ربيع

الفتاة بتفحص : هو مين حضرتك

سلمى : انا مدّرسة في المدرسة اللي شغال فيها و كنت..

الفتاة بأبتسامة مقاطعة : طيب انا كدة كدة راحة اتفضلي

مشت سلمي بصمت مع الفتاة التي تعلقت الصغيرة بيدها و كأنها تعرفها حتي توقفوا امام بيت متهالك من دور واحد... منخفض حتي تكاد الارض ان تبتلعه.. اخرجت الفتاة مفاتيح من حقيبتها و فتحت به و دلفت... تنحت سلمي بعيداً حتي لا تكون بمرمى الباب.. لم

تستطع رغم ذلك ان تمنع مسامعها من ألتقاط بعض كلمات مما كانت تُقال بالداخل.. وجدت الفتاة تظهر مرة اخرى بغير الوجه الذي دخلت به...و ظهرت بجانبها فتاة اخرى قريبة من عمرها و صغيرتان غير الصغيرة التي اتت بها و بدا من خلفهم اخرى... . فتحت سلمي عينها علي اخرها و هي تُحصي كم بنت بالداخل... انتبهت لصوت الفتاة

الفتاة بحزن : طيب معلشي بابا مش هنا

سلمي بتلقائية : طيب مامتك فين

الفتاة بدهشة : هو في حاجة ضروري يعني

سلمي بتلعثم و هي تحاول ان تبتسم : لا مفيش حاجة.. عموماً السلام عليكم

....

في بيت العائلة... كانت سُمية كعادتها تفتح باب شقتها و تجلس علي الكنبة المواجه للباب و يعلو صوت التلفاز الذي لا يُطفئ.. عادت سارة بعد اوصلت ابنها أحمد للحضانه... دلفت من البوابة الرئيسية للبيت.. تلقّى سمعها اصوات التلفاز و باب شقة حماتها المفتوح.. زفرت بقوة... صعدت درجتي السلم فأصبحت أمام

بابها... ألقت السلام سريعاً و ما كادت تخطو أولى خطواتها حتى هتفت سُمية

سمية : ايه يا سارة

سارة لوت شفتيها و ألتفتت و هي ترسم ابتسامة مصطنعه ضاغطة علي اسنانها و قالت بغيظ : نعم يا ماما

سُمية بتهكم : نعم يا ماما..

سارة بغيظ و هي تتحرك للداخل و في يدها صغيرها مروان : اؤمريني يا ماما..

سُمية بغضب : البيت ده يعني مش ناوي يتنظف و لا هو زريبة

سارة بدهشة : زريبة ايه.. انا لسه ماسحاه اول امبارح و مفيش حد بيحرك حاجة من مكانها يعني البيت على حالته مش محتاج يتنظف

سُمية بغضب : هو ده اللي اتعلمتيه عند امك يعني

سارة مقاطعه بأنفعال : ايه لزومة سيرة امي يعني

سُمية و هي تلوي شفاها : ما هو الولِد الخرا بيجيب لاهله اللعنه

سارة و هو تزفر بقوة بغيظ : حاااضر... هطلع أجهز الغدا و انزل اعملك اللي انت عاوزاه

سُمية بلا مبالاة و هي تنظر للتلفاز : ادخلي اعملي لي شاي علي ما الغدا يجهز

سارة رمقتها بنظرة غيظ و انحنت تحمل صغيرها وتحركت بسرعه للمطبخ و هي تُحسبن...

....

في الدور الثالث في البيت... كانت هالة مشغولة بهاتفها... تبتسم و هي تكتب شيء.. كانت تتبادل الرسائل مع أحدهم ... دقائق و استقبلت مكالمة.. و كأنها تنتظرها.. اتسعت الابتسامة علي وجهها... وضعته علي اذنها

هالة بدلال : الو

الطرف الآخر : ــــ

هالة بخجل مصطنع : لا محدش قالي ان صوتي حلو... هو انت مفكر اني بعطي رقم تليفوني لاي حد..

الطرف الآخر ---

هالة بسرعة : لاااااااا نتقابل ايه.. انا بابا مش بيخليني اخرج من البيت خالص

الطرف الآخر : ---

هالة بخبث : صورتي... ماشي.. يلا سلام عشان ماما بتنادي عليه

اغلقت هالة هاتفها و ألقت به علي السرير بجانبها و تنهدت و استلقت علي السرير.. و اغمضت عينها و غاصت بأحلامها و هي مبتسمة.. انتبهت ليد تهزها بقوة.. فتحت عينها مفزوعة..

يحيى بغضب : فين الغدا يا هالة

هالة بأثر النوم عليها و قد انتفضت معتدلة : في ايه يا يحيي.

يحيى بغضب : بقول فين الطفح

هالة بلا مبالاة : .. ما انت لما بترجع بجهزه ليك

يحيى بأنفعال : ... يعني كل يوم ارجع ملقيش غدا.. امال انت بتعملي ايه طول النهار

هالة بعصبية : يعني ايه بعمل ايه.. هو انا عبدة يعني هفضل متزنبة طول اليوم لحد ما ترجع..

يحيى و هو يجذب هالة من ذراعها لتقف : لا انتِ مش عبدة... انتِ مراتي... و واجبك يا هانم اني ارجع ألاقي اكلي جاهز و هدوم علي سنجة عشرة و البيت بيشقرف

من النظافة... شوفي يا هانم البيت عامل ازاي و الصبح ملقيتشي شرابات نظيفه و متكلمتش لان جنابك كنت نايمة.. لحد امتي هفضل صابر عليكي

هالة صارخة و هي تحاول تخليص ذراعها من قبضته : صابر عليه... اه قول كدة بقه... تلاقيك خدت كلمتين و انت طالع فـ جاي حامي عليه...

ثم اضافت ببكاء و قد حررت نفسها و وقفت بعيداً عنه : بتعايرني اني مورييش عيال اشغل وقتي بيهم...

يحيى اغمض عينه و مسح وجهه بعنف و أعطاها ظهره و اخذ يزفر بقوة و هو يسمع صوت هالة و هي تُجهش في البكاء.... دقائق كانت فيها عينها تجود بما لديها.... كانت تُزيد من صوتها لتُحطم رباطته.. و قد كان... ألتفت يحيي و قد هدأ عنه الغضب... اقترب منها... كانت تجلس علي حافة السرير.. تضع يدها علي وجهها تُخفيه و تنتحب... جلس بجانبها و جذبها لصدره... انزلت يدها من علي وجهها و وارته في حضنه... ظلت تنهته و هو يمسح علي شعرها..

يحيى بتأثر : خلاص بقه يا هالة..

هالة ببكاء : يعني كل يوم اتنكد كدة.. هو ذنبي يعني

يحيى بتأثر : يا هالة انا مقولتش حاجة... كل اللي بقوله عاوزك تهتمي بيه شوية

هالة بدلال 'و هي تُبعد نفسها عن حضنه و تنظر له بعيونها الباكية : يعني انا مش بهتم بيك يا يحيي... هو انا ورايا غيرك.. و لا ليه في الدنيا غيرك..

يحيى بأبتسامة هادئة و هو يمسح الدموع عن وجهه : طيب خلاص بطلي عياط و قومي اغسلي وشك

هالة بدلال و هي تتحرر من حضنه : حاضر..

ثم اضافت بعد ان صارت قرب الباب : غير بقه هدومك و هجهز لك الغدا

يحيى بأبتسامة و قد نهض من مكانه و اقترب منها حتى صارت انفاسها برئتيه : انا اللي هدخل اجهز لنا حاجة ناكلها علي ما تغسلي وشك

هالة ضحكت و قالت بدلال : امممممممم و انا علي الحلو بقه

يحيي ضحك و جذبها للداخل و قال : لا اذا كان فيها حلو يبقي سيبك من الحادق و خلينا نحلي..

....

في الدور الثاني من البيت... كانت سارة لاتزال في المطبخ.. كانت شاردة تتنهد بحزن... انتبهت علي يد تتحسس ظهرها.. التفتت مفزوعة.. كان محمود يقف خلفها يكاد يلتحم بها... كان يبتسم لها فهدأ عنها الفزع و ابتسمت ابتسامة باهته..

محمود بحب : ايه مش هتيجي بقه.. هتفضلي طول اليوم كدة

سارة بأبتسامة باهته : قربت اخلص و اجي

محمود بحب و هو يمسك بيدها : سيبك من الشغل و تعالي عاوزك في موضوع

سارة بترقب و هي تتحرك معه : خير ان شاالله

دخلت سارة بيد محمود لغرفتهما و هي ترمقه بنظرات دهشة... هي تعلم ان محمود لا يكون هكذا الا لامر ليس بمقدوره ان يأخذه بوجهه الاخر و لا حتي حقه الشرعي... اجلسها بجانبه علي السرير و لازالت الإبتسامة علي وجهه

محمود : ------

محمود : بقولك ايه

سارة بترقب : نعم

محمود : انا عاوز ابطل ألف علي البيوت عشان أدى دروس خصوصية

سارة بدهشة : عاوز تبطل تدي دروس

محمود بأنفعال : انا قولت هبطل ادي دروس

سارة صمتت و قد فتحت عيناها علي اخرها تتفحص وجه محمود تستكشف مقصده... عاد لهدوءه و اضاف : انا بقول ابطل ألف علي البيوت... يعني بدل ما أدى الدروس في البيوت... الطلبة ييجو لحد عندي ياخدو الدرس

سارة بدهشة : ييجو فين.. الشقة اوضتين و صالة.... هتجيبهم هنا

محمود بغضب : طبعا لا.. انا مكشفي حُرمة بيتي

سارة بصدمة : هتجيبهم عند أمك

محمود بأنفعال : لا اللي خلاني مرضاش انهم ييجو هنا اجيبهم عند ماما انتِ اتهلبتي

سارة بنفاذ صبر : أمال هييجو فين... هتقعدهم عند يحيي

محمود بغضب : انتِ هتتريقي

سارة بهدوء : محمود هات من الآخر.. انا من الصبح علي رجلي و مفياش دماغ لفوازير رمضان بتاعتك.. هتجيبهم عند مين

محمود بهدوء : اختك

سارة بدهشة : اشمعني

محمود بأنفعال : انت هتدخلي معايا قافية

سارة بعصبية : ما تجيب من الآخر عشان افهم و نخلص

محمود و قد انتفض من مكانه و وقف في مواجهة سارة و قال بثبات : و انا جبت من الآخر... هجيبهم عند اختك

سارة بدهشة : عند اختي ازاي يعني

محمود : اختِك قاعدة لوحدها في البيت.. عندها دور فاضي مش بتستغله... انتِ أولى بيه

سارة : أولى بيه ازاي... ده بيتها و انا اخدت حقي و زيادة

محمود مقاطعاً : حق ايه.. ده كله ليكي هي ليها اخوات غيرك يورثوها

سارة بصدمة : يورثوها... اختي ماماتتشي يا محمود

محمود بنفاذ صبر : مقولناش حاجة بس كلنا هنموت هيفرق ايه دلوقتي من بكرة

سارة ولا تزال مصدومة من كلماته : طيب ما تأجر اوضة في اي بيت قديم و لا حتي محل و جهزه

محمود مقاطعاً بعصبية : و ليه لما المكان موجود

سارة بأنفعال : هو ايه اللي موجود يا محمود.. انت قبل كدة استكترت انها تكون عايشة في البيت و مستفيدة بيه و قلت لي اطالب بورثي و هي ما منعتشي و عطتني و بزيادة.. دلوقتي اروح أقولها عاوزه شقة

محمود بحسم و قد اقترب منها حتي كاد يلتحم بها : بالظبط ده اللي انا عاوزه...

قال محمود جملته وهو ينظر لعيني سارة ثم تخطاها للسرير.. التفتت سارة ناحيته و هي لا تُصدق ما تسمعه

سارة و قد فتحت عينها على آخرها : و لو قلت لأ

محمود و هو يرفع رجله من علي الأرض و يستلقي علي السرير : مفيش لأ لاني مش بخيرك.. ده قرار ببلغهولك

سارة بأنفعال : قرار.. هو انت مفكر ان اختي مجبورة انها تنفذ حاجة تقولها

محمود : لأ بس انتِ مجبورة تخليها تنفذ.. و اطفي النور عشان عاوز انام

تحركت سارة نحو باب الغُرفة بخطوات متثاقلة اطفأت النور و ألتفتت نحو محمود الذي تدثر بغطاء و نام بعد ان ألقى عليها قنبلته المدوية و تركها تعج بداخلها تُصدع دواخلها... رمقته بنظرة آسفة و أغلقت الباب للخارج

....

في البيت ذي الطابقين حيث تعيش سلمى وحدها... كان الليل قد اسدل ستائره علي كل شيء.. و لازالت جفون سلمى لم تدُلي بستائرها علي عينيها.... كانت تجلس جلستها المعتادة علي الارض تستند للحائط و تضم فخذيها لصدرها و قد ارجعت ظهرها للخلف... كان عقلها لايزال يُحصي عدد الفتيات في ذاك البيت.... هل هو من اولئك الرجال الذين يريدون الذكور فتظل زوجاتهم يحبلن و يُنجبن حتي يرضوهم.. لا يبدو عليه كرهه للبنات.. و من يبدو عليه و لكن الجميع يريد ذكراً حتي الامهات تسود وجههن ان انجبن فتاة و

يفتخرن ان كان ذكرا.... و تلك الفتاة... هي حتماً معاقه ذهنياً... و هناك أخرى بدت بنفس حالتها... و ما ذنبهن ان يتكدسن في مثل هذا البيت المتهالك.... و الكبيرة... بثيابها المهترئة... كيف يفكر متعلم بل و مُعلم بتلك العقلية فيجني علي ابنائة و يقصر في حقهم بتلك الصورة.. تنهدت.. شعرت بالاسف تجاة هذي المرأة المسكينه التي باتت بين ليلة و ضحاها ألة تفريخ و وسيلة ارضاء.... و بناتها... اهٍ عليهن لن يورثوا سوى الفقر و العوز و الكره حتي... و الصغيرة و مثيلتها... اهٍ و اهٍ و اهٍ عليهما .. اي ابتلاء هذا أن يكُنّ بتلك الحالة في مجتمع لا يتقبل الصحيحات فهل تأخذه رحمه بالمعاقه منهن.... تذكرت حالها.. ابتسمت رغماً عنها... ليست ابتسامة سعادة بل ابتسامة رضا... فحين تضع نفسها مكان هذه الام فيكفي بلاء ان تكون لها طفلة مُعاقة فما بال ان تكون اثنتان... ليس لعبء خدمتهن الذي و ان كثر و تضاعف مع الوقت لن يوازن عبء الخوف عليهن من مستقبل لن تكون هي فيه.... هي حتماً بلطف خفي فلِم عساها ألا تبتسم.. . قامت متثاقلة.. خرجت من الغرفة للحمام... دقائق و عادت و المياه تتقطر منها.. ارتدت اسدالها و كبرت.... ألا يستحق المُنعم ان نحمده فهو ان لم يرزقها ما تمنت فقد جنبها بلطفه الخفي ما لن تحتمله.. كبّرت و شرعت في

الصلاة... ظلت تُصلي و تُصلي حتي باغتها اذان الفجر... كانت ساجدة في اخر ركعات قيامها... لم تشعر بنفسها إلا و هي تدعو تقول اللهم اجعلني لطف منك خفي... اللهم كما انعمت علي بلطف خفي فأجعلني لاحدهم لطف خفي...سلمّت من صلاة القيام... ثم شرعت بصلاة الفجر و استلقت علي سجادة الصلاة لم تكد تغمض عينها حتي اخدها النوم... انتبهت لصوت المنبه.. فتحت عينها بصعوبة.. تسندّت و نهضت .. كان جلباب البارحة أمام ناظرها... لن ابحث عن غيره... و ما الفرق...دقائق و كانت قد بدلت ثيابها و حملت حقيبتها و غادرت و كالعادة مهرولة حتي وصلت للمدرسة... وقفت بالفناء شاردة.. تدور ببصرها تبحث عن شيء.. شخص.. تبحث عنه... انتهى الطابور و صعدت لحصتها ولازال عقلها مشغول... انتهت الحصة فما كادت تخرج من الفصل حتى استوقفتها زميله لها

الزميلة : سلمى

سلمي بأبتسامة : نعم يا تغريد

تغريد و هي تمد يدها بشيء لسلمى : امضي هنا عندك حصتين احتياطي

سلمي و هي توقع و قد انتبهت لصاحب الحصة : هو الاستاذ ربيع غايب

تغريد : انتِ متعرفيش

سلمى بفضول : معرفشي ايه

تغريد ضاحكة : مراته جابت توأم و بنتين برده

سلمى بدهشة : ده طالع معاش السنة الجاية

تغريد ضاحكة : هو ده بيهمه... ده مش هيسكت الا لو كمل الدستة

سلمى مصدومة : هو عنده كام

تغريد مقهقه : 8بنات و امهم

سلمي بتعجب : و علي ايه ده كله

تغريد و هي تلوي شفتيها و قبل ان تغادر : هيكون ليه... عشان الواد... المصيبة ان مراته محجوزة في المستشفى... جاب اخرها الله لا يسامحه...

سلمي بسرعه و قد بدا على ملامحها الحزن : مستشفي ايه

تغريد و قد رفعت احدى حاجبيها بأستنكار : مش عارفه... بتسألي ليه

سلمي بتلعثم : فضول بس مش اكتر

تغريد بخبث و هي تلتفت تُغادر : طيب لو مهتمه اوي روحي اسألي عم محمد الفراش هيقولك

سلمي بأضطراب : لا مش للدرجة دي يعني

تحركت سلمي بخطوات مضطربة و عيون ذائغة لحصة اخرى... توارت في الفصل تهرب بأفكارها و اسألتها فيكفيها ما تلقاه من نظرات بدون ذنب فلن تضع نفسها محل شُبهات... ظلت تنتقل 'من حصة لاخرى حتي انتهى اليوم... كانت لاتزال شاردة... خرجت من بوابة المدرسة بخطوات هائمة لم تشعر بنفسها و قد ركبت إحدى الميكروباصات و لم تنتبه الا و قد نزلت من الميكروباص في الكفر و العيون تتابعها باستنكار .. لازالت خطواتها هائمة و نظراتها شاردة و كأنها مُسيّرة... كانت قد دنت من منزله او لنقل جُحره... تلفتت حولها بأضطراب و اقتربت.. بحثت عن الجرس.. وجدت سلك متدلي و قد تعلق به مفتاح كهربي بدا كمفتاح الجرس تطلعت بنظرها وجدته قد تلون بقلم فلومستر.. ابتسمت.. قربت اصابعها و ضغطت.. شعرت بحركة في الداخل.. تعالت الاصوات... دقيقة او اقل و فُتح الباب.. ظهرت فتاة غير فتاة امس... و من خلفها فتاة اخرى.... و ثواني و

ظهرت اخري.. انتبهت علي صوت من الداخل... كانت الفتاة التي قابلتها امس... كانت تنظر اليهن بذهول.. عقلها يُحصي عددهن... انتبهت ليد تهزها.. نزلت ببصرها للاسفل... كانت صغيرة البارحة.. اتسعت ابتسامتها.. .انحنت و حملتها.. و اعتدلت... احست بجسدها يكاد يشتعل من نظراتهن المتفحصة.. تنحنحت و قالت بحرج

سلمي بحرج : السلام عليكم

إحداهن : عليكم السلام

سلمى بحرج : انا زميلة الاستاذ ربيع

احداهن مقاطعة : ايوه انت اللي جيتي امبارح هو في حاجة

سلمي بحرج : لا بس كنت عرفت ان زوجته في المستشفى قلت اجي ازورها

تنحت الفتاة جانباً و جذبت اخواتها و أشارت لسلمي و قالت بأبتسامة : طيب اتفضلي..

دخلت سلمى و هي تحمل الصغيرة لم تتمالك نفسها و زاغت ببصرها في المكان... و كأنها قد دخلت بيت اخر من ذاك الباب.. بدا البيت كأنه روضة... اثاث

بسيط ملون بألوان زاهيه... حوائط فقدت دهاناتها و تزينت بملصقات كارتونية و أخرى للازهار.... أبواب الحجرات تُطل مباشرة علي الصالة و تتوارى ابوابها خلف ستائر برسومات كارتونية... انتبهت ليد احداهن تجذب الصغيرة فناولتها لها بأبتسامة شاردة

فتاة أخرى : اعمل لحضرتك شاي

سلمى بحرج : لا شكراً... هي مامتكم ف مستشفي ايه

الفتاة بحزن : في المستشفي الجامعي

سلمى بتأثر : ربنا يقومها لكم بالسلامة..

الفتاة : امين

ساد صمت... كانت سلمي تنقل بصرها بين العيون المسلطة عليها .... بدأت الهمسات تضج من حولها... لم تلتقط مسامعها ما يقولن لكنها قد ادركت عما يتكلمن.. التقطت انفها رائحة.. رائحة احتراق.. فتحت عينها لاخرها و قامت منتفضة..

سلمى بفزع : انتم سايبين حاجة علي البوتاجاز

الفتاة اسرعت للداخل و خلفها سلمى بتلقائية... كانت طاسة بها زيت قد اشتعلت من احتراق ما بها... صابت الفتاة بالرعب.. و صرخت الصغيرات.. تقدمت سلمى

بحماس نحو البوتجاز و اطفأت النار ولازالت الطاسة محترقة... اسرعت للخارج و فتحت باب البيت و اخذت بقبضتها من تُراب الشارع حِفنة و عادت فوجدت البنات يصيحن و يلقون باللوم علي بعضهن.. القت بما بيدها علي الطاسة فهبطت النار.... سكن الصوت لدقائق عاد بعدها الصياح.. كانت سلمى لاتزال صامته لما بدأ الصياح مرة أخرى انطلق لسانها بغير قصد منها

سلمي بحسم : بس انتِ وهي

سكت الصراخ فجأة و انتبهت الفتيات لها بذهول.. شعرت سلمى بالاضطراب و ابتلعت ريقها و استجمعت نفسها و قالت

سلمي بأضطراب : قصدي ملوش لزوم انكم تتخانقوا يعني

لم تتلقي رد لكنها لاتزال تُصيبها سهام نظراتهن المتفحصة لها.. حاولت رسم ابتسامة فبدت مهزوزة...

سلمى بمرح و لازالت مضطربة و عيون زائغة : انا جعانه ... عندكم عيش

لم يأتيها رد سريع فما كادت تتلاشى ابتسامتها حتي اتاها صوت إحدى الصغيرات و هي تقفز..

الصغيرة بصراخ : انا دعانه

عادت الابتسامة لوجه سلمى و اتسعت و دارت بعينها بين الفتيات... و قالت بحماس : طيب هنقلي بطاطس ع السريع و جبنه و عيش و سلطة و نعيش بقه

لم تكد تُكمل جملتها حتى قالت احدي الفتيات بحماسة : ماشي_ هقمّر العيش انا بقه

سلمى بتلقائية و هي تنقل بصرها بين الفتيات : طب فين البطاطس بتحطوهم

فتاة اشارت لها لكرتونه تحت الحوض فاسرعت سلمى بأتجاهه الاشارة و انحنت و اخذت بضع وحدات منه و جلست القرفصاء علي الارض و رفعت بصرها للفتيات و قالت

سلمي بمرح : طب حد يناولني سكينه ادبح البطاطس دي

ضحكت الفتيات و اسرعت الصغيرتان و جلسوا بجانب سلمي بنفس جلستها و تابعوها و هي تقشر و تقطع البطاطس و هي تُضاحكهم و تداعبهم فيما انصرفت باقي الفتيات ليُجهزوا باقي ما قالته سلمي... انتهت سلمي من اعداد البطاطس و الفتيات افترشوا الارض في الصالة و وضعوا اطباق الجبنه و السلطة و

العيش و جلسوا يتهامسون... خرجت سلمى و الصغيرتان و في يدها طبق البطاطس... تعلقت الأنظار بسلمي التي خرجت مبتسمة فأتسعت ابتسامتها و اتخذت موضعها علي الارض و كانها واحدة منهن... اندمجت سلمي و تناولت رغيف عيش و مدت يدها للبطاطس.. فتبادلت الفتيات النظرات و تفاعلو معها و وزعوا علي بعضهن العيش و شرعوا في تناول الطعام...رفعت سلمي بصرها نحوهن... تحمست من اندماجهن و قررت ان تتعرف عليهن

سلمي و هي تمضع طعام و تنقل بصرها بينهن : انا اسمي سلمي و انتم

تكلمت كبيرتهن و قالت و هي تشير بيدها : انا سُندس و دي سلسبيل توأمي و دي سُهى و دي سلوى توأم و دي سلمى و توأمها سُهيلة

سلمي كانت قد فتحت عينها لاخرها و هي تتابع و قالت بتلقائية : امبراطورية سين

ضحكت الفتيات و اضافت إحداهن : و ماما سامية كمان

سلمى ضاحكة : الله اكبر..

دقائق من الضحك سكن بعدها الصوت... كانوا قد انتهوا من الطعام.. عادت الهمهمات فيما بين الفتيات.. شعرت سلمى بالحرج... تسندت و نهضت من علي الارض فنهضت سندس..

سلمى بحرج و هي تستعد للمغادرة : طيب شكراً علي الاكلة الحلوة دي... ربنا يقوم لكم امك بالسلامة... يلا سلام عليكم

سندس بلهفة : طب خليكي نشرب شاي

سلمي فتحت عينها علي اخرها من رد فعل سندس الذي لم تتوقعه... ابتسمت و قالت : باذن الله مرة تانية و تكون مامتكم في وسطكم

سندس بأبتسامة : باذن الله...

تحركت سلمى نحو الباب و تُشيعها سندس و همهمات اخوتها... فتحت الباب و خرجت.. التفتت و نظرت نحوهن بأبتسامة و قالت : عاوزين مني اي حاجة اعملها لكم قبل ما امشي

سندس بأبتسامة : الله يكرمك... نعوز سلامتك

سلمي و هي تبتعد عن الباب و قبل ان تلتفت و تُعطيهم ظهرها : السلام عليكم

سندس : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

ابتعدت سلمى قليلا فحانت منها ألتفاته... كانت سندس لاتزال تقف علي الباب...وجدت سندس ترفع يدها تُشير لها مودعة بأبتسامة ود... ابتسمت سلمي ورفعت يدها بتلقائية تُلوح لها مودعه... التفتت مرة أخرى و اسرعت خطاها تكاد تطير من السعادة... ركبت الميكروباص و لم تُغادر الابتسامة وجهها و لم تفتر حتى.. ما كادت تنزل من الميكروباص إلا و كانت تكبيرات العصر تصدح... اسرعت سلمى بخطاها... ليس هروباً كعادتها... لكن لتلحق صلاة الجماعة...

....

في بيت العائلة... الدور الاول حيث تصدع اصوات التلفاز... كانت سُمية كعا تها تقضي وقتها كله امامه.... ما تكاد تغادر مكانها لتؤدي فريضة صلاة حتي تعود لتُكمل ما فاتها... تجلس بيدها السبحة تُحرك حباتها و عيونها مُعلقة بشاشته بأهتمام... انتبهت لصوت علي السلم... كانت القادمة ابنتها ريم و طفلتها

ريم و هي تلتقط انفاسها : السلام عليكم

الام مرحبة بأبتسامة و هي تمد ذراعيها لتأتي لها الصغيرة رؤي : عليكم السلام.. اهلا اهلا اهلا بالحاجات الحلوة

ريم و هي تخُر علي الكنبة جالسة بجانب امها : يختي قطيعة البنات و خلفتهم...

الام ضاحكة و قد حملت الصغيرة علي فخذها : ينيلك لما انت تقولي كدة أومال جوزك يقول ايه

ريم بعصبية : هو يقدر يقول... ده انا اسود عيشته... الطيشة ده كمان

الام مقهقه : طيشة... ده انت عليكي كلام

ريم و هي تدور ببصرها في المكان : انت لوحدك ليه فين مراتات ولادك

الام و هي تقلب شفتيها : ما انت عارفة ان البرنسيسة هالة مبتنزلشي.. و سارة بتخلص شغل ف شقتها و تجهز الغدا و بعدين تنزل لي

ريم بتذمر : انا عاورة اشرب عصير يطري علي قلبي ف الولعه اللي احنا فيها دي

الام بأستغراب : طب ما تقومي تعملي

ريم بأنزعاج : انا جاية ساعة هتشغلوني..

الام رمقتها بنظرة استنكار و قلبت شفاها و عادت ببصرها للتلفاز بلا مبالاة..

مر الوقت و هم علي حالتهما... يتابعوا التلفاز تارة و يأتون بسيرة فلان او علانه تارة... سمعوا اصوات علي السلم... كانت سارة و علي رأسها صينية... دلفت للشقة... وجدت ريم... اقفهر وجهها بتلقائية... انحنت تضع الصينية .... سمعت صوتها تقول

ريم بتنمر : ايه يا سارة مفيش سلام عليكم

زفرت سارة بقوة و اعتدلت بعد ان وضعت الصينية و رسمت ابتسامة مغتصبة و قالت بغيظ : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ريم و هي تلوي شفاها : بعد ايه بقه..

لم ترد سارة و جلست تلتقط انفاسها و تُهدأ من نفسها... فلم تكد تهدأ حتي اشعلت ريم بكلماتها الغيظ في قلب سارة

ريم و هي تكشف عن الطعام علي الصينيه تتفحصة : ايه اللي انتِ طبخاه ده..

سارة بسخرية : كــفيار

ريم بأنفعال : انتِ بتتريقي عليه

سارة بعصبية : انتِ شايفه انا طابخة ايه

ريم بتهكم : انتِ بتسمي اللي انت عملاه ده طبيخ

سارة بغضب : و الله انا بطبخ اللي موجود و باكل منه زيي زي غيري

ريم بغضب : كل ما اجي ألاقيكي عاملة كشري... مسقعة.. مكرونه و بيض... ايه مفيش مرة ألاقيكي منزله للست الغلبانه دي لحمة و لا فراخ

سارة بصدمة : انزلها لحمة و لا فراخ! انا اللي بطبخة بناكل منه كلنا لو في لحمة كلنا بناكل لحمة و لو مفيش بيبقي مفيش... انتِ مفكرة اني بخبيها يعني

ريم و هي تلوي شفاها : الله اعلم بقه

سارة و هي تزفر بقوة و تنهض من مكانها : استغفر الله العظيم

كانت سارة تهِم بالمغادرة حين استوقفتها سُمية

سُمية و لازال بصرها مُعلق بالتلفاز : راحة فين يا سارة

سارة التفتت و قالت بغيظ : طالعة اقعد مع عيالي

سُمية : هاتيهم و انزلي اقعدي هنا... انتِ ايه اللي يقعدك فوق لوحدك.. هو في ايه فوق... جوزك مش موجود يبقي تقعدي لوحدك ليه

سارة بغيظ و هي تغادر : حااااااضر حاضر يا حماتي

سمية بدهشة و هي تنظر لابنتها : هي قالت حماتي

ريم : اه قالت و قالتها بقرف كمان

سمية و قد فتحت عينها بأستنكار : بقرف

ثم عادت لتنظر للتلفاز و قالت بلهجة وعيد : لما ييجي جوزها ليه كلام معاه

ريم بتذمر و هي تملأ لنفسها طبق بنهم : نفسي ادوق لحمتكم دي

سُمية ضاحكة : دا انا اللي نفسي تدخلي عليه بتمن لب حتى

ريم بغيظ و هي تضع الطعام بفمها : بقه كدة يعني

....

في الدور الثالث حيث تعيش هالة و يحيى.. الشقة في حالة يُرثى لها اما هالة كعادتها مُستلقية علي السرير تتبادل الرسائل مع أحدهم و هي مبتسمة... كانت تُصدر

اصوات ضحك من وقت لآخر.. اعتدلت في جلستها و لازال الهاتف بيدها... علا صوت رنينه فأمتزج صوته بصوت ضحكاتها... ضغطت زر الاجابة و وضعته علي اذنها 'و قالت

هالة بدلال : احنا مش قلنا مش كل شوية تتصل

الطرف الآخر ---

هالة ضاحكة بدلال : يوووووه بطل تقول كدة عشان بتكسف

الظرف الآخر ---

هالة بخوف : لاااااااااا انا مينفعشي اقابلك

الطرف الآخر ---

هالة بتلعثم : اصل بابا اليومين دول بيذاكر لي طول الوقت و مش بيرضي يخليني اخرج خالص

الطرف الآخر ---

هالة ضاحكة : هانت..

وصل يحيى للبيت و لم تنتبه هالة... كان صوتها و ضحكاتها قد وصل لمسامعه.. صُدم مما يسمعه... لم يتقبله عقله... دخل مشدوهاً... شاخص البصر.. لا

يُصدق... انقض عليها بلحظات كان قد قبض علي يدها التي كانت تُمسك بالهاتف.. اشتد بقبضته حتي كاد يحطم عظام يدها و الهاتف تحته... جذبها من علي السرير... كانت تصرخ و هي تقول في ايه يا يحيى... لم يرد... كان يشتد بقبضته علي يدها فيزداد صراخها... حاولت تخليص يدها فلم تستطع.. دفعته بيدها الأخرى بأقصى قوة.. كان كأنه غائب عن الوعي... دفعها بقوة فوقعت على الارض و وقع الهاتف.... اسرعت تأخذه فسبقها له.. ... اسرعت نحوه تنزعه من قبضته فهوى بيده علي وجهها بصفعه كادت تتخلع منها اسنانها.. صرخت متألمه و هي تبكي بشدة... جلس يحيى علي السرير و بيده الهاتف...لم ينطق بكلمة.. كانت هالة تترجاه ان يُعطيها الهاتف.. كان يحاول ان يُنكر فيسمع توسلاتها فيزداد يقينه...اغمض عينيه... كانت تقف امامه تترجاه... لم تهبط دموعها.. فمها جاف من الرعب تلتقط انفاسها و كأنها تلهث تترجاه ان يُعطيها الهاتف...فتح عينه و تطلع للهاتف بيده.. فتحه يُفتش فيه.. بدأت ترتعش و تترجاه بتلعثم

هالة بخوف : انا كنت بتسلى بس و الله.. و الله يا يحيى كنت بتسلى

رفع بصره نحوها يرمقها بنظرات مشتعلة... اعاد بصره للهاتف.. كان ينظر اليه بنظرات مصدومة.. عيناه مفتوحة لاخرها... كانت ترتعش و تُمسك بكلتا يديها تضغط عليهما بقوة... ظل ينقل بصره بينها و بين الهاتف... و كأنه يستبين منها ان كان ما يراه حقيقة.. انتفض فجأة و اقترب منها... ابتعدت عنه بفزع.. لم تشعر بنفسها إلا و هي بين يديه... او لنقل رقبتها في قبضته... لم تستطع ان تصرُخ... ظل جسدها يقاوم منتفضاً.. و يدها تلوح و كأنها تحاول ان تمسك روحها فلا تُغادرها... فجأة شعرت بالحياة تدب في جسدها... حرر رقبتها من بين يديه.. كانت اصوات الصُراخ ترُج المكان و الباب يُطرق بقوة.. فاق مما كان فيه.. دفعها بقوة و هرع ليستبين ماذا يحدث.. فتح الباب... لم يجد احد و لازال الصراخ يصدح في المكان.. اسرع للاسفل وجد امه فاقدة للوعي و حولها النسوة من الشارع و زوجة اخيه سارة تجلس على الارض محتضنه ابنيها تكاد تعتصرهم و هي في حالة جمود... كانت ريم في حالة انهيار تام من البكاء... اسرع نحو امه يطمئن عليها.. كانت قد عاد اليها وعيها و بدأت في الصراخ و العويل و هي تُنادي على محمود... ضمها اليه يحاول تهدئتها... نظر لريم التي كانت تجلس بجانبه قالت له ببكاء شديد

ريم ببكاء : اتصلوا علي سارة العربية خبطت محمود

يحيى مقاطعاً و هو في حالة صدمة : طيب يمكن اتصاب بس

ريم و هي تُجهش في البكاء : قالولها انه في المشرحة.. اخويا مات... مروان و احمد اتيتموا يا يحيى

نهض يحيى من مكانه نحو سارة... ركع على الارض... كانت عيناها مُغرورقه بالدموع.. كانت تفيض فتسقط تشق طريقها على وجنتها بصمت... لازال احمد و مروان بحضنها... تضمهما بشدة و كأنها تحسب ان يعودا بذلك جزء منها... هو الآخر كان يريد من يضُمه... أخوه ليته كان هو و لم يكن محمود... ليس وراءه احد يبكيه و يحتاجه حتى زوجته استبدلته بعالمها.. كانت شاخصة البصر فجلس في مرمى بصرها..

يحيى بصدمة : ايه اللي حصل يا سارة... مين اللي اتصل

سارة بذهول : محمود ف المشرحة

نهض يحيى من مكانه منتفضا و اخرج هاتفه من جيبه و اتصل علي رقم أخيه و هو يُغادر المكان للخارج.. أتاه الرد سريعاً ان صاحب الهاتف في المشرحة..

اتصل علي زوج اخته ليلحق به.. كان في حالة جمود..
انها الصدمة التي فاقت اي رد فعل... اخاه الوحيد...
كان يعتمد عليه هو ليأخذ عزاه فهو مبتور ليس له
ابناء...

....

في المدرسة التي تعمل بها سلمى... كاد اليوم ينتهي...
كان كعادته ممتلئ لا تكاد تأخذ راحة حتي وقت الفُسحة
يلتف حولها التلميذات و التلاميذ يشتكون و يتشاكون و
يسألونها شيئاً في العادة تافه و كأنما يستكثرون عليها ان
تأخذ دقيقة راحة... لم يأتي اليوم أيضاً... هل حدث
شيء لزوجته... ان كان حدث لأتي الخبر حتماً... لن
تسأل احد فلن تضع نفسها موضع شك من احد...
ضُرب الجرس امتلأت الرادهات بالتلاميذ و التلميذات
و كأنهم كانوا مربوطين و تحرروا... كانوا يجرون
بسرعه ليخرجوا من المدرسة و كأنه ان لم يخرج
سيُغلق الباب و يُحبس... لم يكن ذلك سلوك التلاميذ
فقط... كانت المدرسات و المدرسين يتزاحموا معهم
بنفس المنطق... لم تكن سلمى يوماً جزء من تلك
المنظومة و لم تسلك هذه الطريقة قبل اليوم... اسرعت
هي الاخرى لتصل للبوابه... كانت دوماً تخشي من
نظرات الجميع لها ان رؤها تُسرع للعودة او تتزاحم من

اجل الخروج... الحُكم المسبق عليها و هو لم تعود و لمن... ليس ورائها مسؤلية.. خرجت من البوابة و مشت مهرولة... لم تشعر بنفسها الا و هي في إحدى الميكروباصات المتوجهه للكفر المجاور..هبطت و بدأت في التحرك في اتجاه منزله... لم تكترث بالنظرات التي تُشيعها من نسوة الكفر اللاتي افترشن طرقات الشوارع ليقضين اوقاتهن في القيل والقال..يتتبعون المارة بنظراتهن و يودعهن بهمساتهن بالخوض في سيرهن و اعراضهن.... لا تبالي فهي غريبة ع اي حال..لم تشعر بقدميها إلا و قد توقفت...اقتربت بتلقائية من باب البيت... تتحسس اصوات الفتيات... مرت دقائق لم تنتبه فيها لنظرات المارة المستنكرة.... تسرب لمسامعها همهمات... لم تشعر بنفسها الا و قد قربت اذنها اكثر من الباب... كادت تلامسة حين اخترق اذنها صوت طرقعة اخرجتها من الحالة التي عليها...
استقامت بجسدها و فتحت عيناها لاخرها حين وجدت امامها احدى الفتيات و قد حملت اخت لها و من ورائها باقي اخواتها... لم تكن حالة الصدمة التي كانت عليها بشئ اذا ما قورنت بحالة الفتيات... ظنت في بادئ الأمر انهن تفاجئن بها.... شعرت بالاضطراب... فتحت فمها لتنطق بشئ بعد دقيقة صمت سادت بينهما.... حين اتاها الصوت من خلفها...

الصوت : البقية في حياتكم يا بنات...

التفتت سلمى للصوت و قد زال عنها اضطرابها ليحل محله الصدمة شخصت ببصرها و لم تشعر بنفسها الا و قد شهقت بصوت مرتفع... عادت بنظرها نحوهن.... تتفحصنهن... ظلت تنقل بصرها بينهن.. دموع تتسابق علي وجناتهن.... آنات و همهمات.. الصغيرات تحملهن الكبيرات و قد دفنَّ وجوههن في أجساد أخواتهن اللاتي شددن عليهن بأذرعهن فبدوا و كأنهن متلاحمات...

سلمى بذهول : مين مات...

اتاها الرد من خلفها

الصوت بتأثر : أم سندس

ألتفتت سلمى للصوت... شعرت ان قلبها قد توقف... شعرت بداخلها بخواء و كأن روحها قد غادرتها لتلاقي روح تلك المسكينة... ل تقابلها و لو لمرة قبل ان تغادر للابد.... ارادت ان تعرفها.... تسمع حكايتها.... تواسيها..... لا تدري لم شعرت انها تُشبهها.... و كأنها وجه آخر لها.... حياة اخرى كانت ستعيشها ان هي تزوجت..... حياة لم تكن لتتحمل رُبع مصابها و لا لتصبر على ابتلائتها. .شعرت أنها ماتت بدلاً منها كما عاشت تلك الحياة المذرية عوضاً عنها ... شعرت

بغصة بحلقها...ليست صورة مجازية لما تشعر به ... بل غصة حقيقية... شيء يقف في حلقها.. يكاد يمنع دخول الهواء لرئتيها.... مادت بها الارض و لم تشعر بشيء.... فتحت عينها فأصطدم بصرها بسقف يتدلى منه مروحة تلف ببطء شديد... اضاءة حمراء تبعث الاكتئاب.... حركت رأسها حين عادت مسامعها لتكرر تلك الجملة عليها.... أم سندس ماتت.... أغمضت عينها مرة أخرى فهبطت دموعها بغزارة كشلال تحطمت سدودة.... لم تمت المسكينة... لقد قتلها... من أجل نفسه.... انهكها لتشبع رغباته.. استنفز قواها.... هو من قتلها.. 8بنات... 8محاولات للقتل...كانت تقاوم... ها قد نجح اخيراً... ماتت..انتبهت ليد تهزها... فتحت عيناها فأصطدم بصرها بوجه غريب... لا تعرفه... اعتدلت بجلستها ببطء....

سلمى بصوت ضعيف : أنا فين و ايه اللي حصل

المرأة و هي تمسح على رأس سلمى و تربت علي ظهرها و صدرها بحنو : انت في بيت الاستاذ ربيع.... لما عرفتي ان ام سندس تعيشي إنت... وقعتي من طولك سندناكي انا و البنات و نيمناكي هنا

سلمى مقاطعة بلهفه : فين البنات

المرأة بأستغراب و قد اعتدلت في وقفتها و ابتعدت
قليلا' عن سلمى و بدأت تتفحصها : راحوا المستشفى

اسفة لن ارفض الزواج 8

سلمى بصوت ضعيف : أنا فين و ايه اللي حصل

المرأة و هي تمسح على رأس سلمى و تربت علي

ظهرها و صدرها بحنو : انت في بيت الاستاذ ربيع....

لما عرفتي ان ام سندس تعيشي إنت... وقعتي من

طوللك سندناكي انا و البنات و نيمناكي هنا

سلمى مقاطعة بلهفه : فين البنات

المرأة بأستغراب و قد اعتدلت في وقفتها و ابتعدت

قليلا' عن سلمى و بدأت تتفحصها : راحوا المستشفى

سلمى و هي تنهض من علي السرير تلاحقها نظرات

المرأة المتفحصة : مستشفى اية

المرأة بأمتعاض : هو انتِ قريبتهم

اضطربت سلمي و فتحت فمها ليخرج منها همهمات غير مفهومة حين قاطعها رنين الهاتف.. فتحت حقيبتها بسرعه و ألتفتت لتغادر تشيعها نظرات مستهجنه و كلمات مسمومة من المرأة

سلمي متحدثة في الهاتف : سلام عليكم

______

سلمى بغير تصديق : محمود مين

____

سلمى ببكاء مهرولة : مستشفي ايه

تحركت سلمي تسابق قدمها الاخرى و كأن مسها جن..

لا تصدق ما سمعته.... لم تشعر بنفسها الا حين لفح

وجهها الهواء مع انطلاق الميكروباص التي اقلته...

كانت الدموع متحجرة في عينها و نظراتها شاردة... لا

تصدق... زوج اختها مات... ترملت سارة و تيتم

طفليها.. توقف الميكروباص... هبطت منه بسرعة و

هرولت ف الشارع كالمجنونة... ما ان اقتربت من

منزل اختها حتي بطُأت حركتها... و تحررت الدموع

من عينيهاحين وجدت الحشد امام المنزل و اصوات

البكاء و العويل...اخترقت الحشد بعيون مثقله بالدموع و

نظرات زائغة... تبحث عن اختها... ما ان دخلت

المنزل حتي وجدت حماة اختها ف وسط البيت تبكي و

بجانبها ابنتها لا تقل حالتها سوءاً... اقتربت منهم و

لازالت نظراتها زائغة تبحث عن اختها المكلومة... ما

ان وقع عين ريم عليها حتي ثارت و انتفضت من جانب امها و اخذت تصيح

ريم بهياج و بكاء : اختك النحس جابت اجل اخويا.. انتم السبب ان اخويا مات...

كانت ريم قد اقتربت من سلمي التي لازالت في حالة صدمة حتى وجدت ايدي ريم تطبق على رقبتها و التفاف الناس من حولهم ليخلصوها من براثنها... لا تفهم سلمي ما يحدث لكنها ما كادت تتحرر من قبضة ريم حتي اسرعت خارج الشقة لتصعد لشقة اختها تبحث عنها..... طرقت الباب بعد ان يأست من استجابة اختها للجرس.... وضعت اذنها ع الباب و قد حبست انفاسها.. قربت فمها من باب الشقه و اخذت تنادي بخفوت على سارة و أحمد و مروان..فُتح الباب و وجدت يد تسحبها للداخل و ينغلق الباب و تجد اختها ترتمي في حضنها و

هي تشهق بقوة بل لتسقط بين يديها و قد غُشي عليها

او هكذا حسبت..خرت سلمي ع الارض و اختها بين

يديها... شعرت انها هامدة لكن كذبت ظنها... قلبها

الذي انقبض و انفاسها التي ضاقت بها رئتيها بعد ان

حُبست بداخلها تيقنت أن هناك خطب ما جلل بأختها...

كانت قد افترشت الارض و قد وسدت اختها احدى

ذراعيها و ظلت تمسح بيدها الأخرى وجه اختها و

كأنها تجس انفاسها..شعرت بتسارع دقات قلبها... ما

بها سارة... مالت بوجهها نحوها... و بدأت تهزها

بهستريا و تنادي عليها..... صرخت بأذنها لتنهض...

لديها طفلان توّاً فقدوا اباهم... لمن ستتركهم.... ظلت

سلمي تبكي و تصرخ و تُجهش في البكاء و تزداد

هزاتها لجسد اختها عنفاً علها تفوق من غفلتها... كانت

تهز جسدها و كأنها تعنفها و تصرخ فيها بصوت باكي

سلمي ببكاء : قومي يا سارة بطلي انانيه هتسيبيهم

لمين....

مرت دقائق و لازالت سلمي تُجهش في البكاء و تصفع

وجه اختها و تهز جسدها على امل ان تستجيب....

تمالكت نفسها و وضعت رأس اختها ع الارض و

نهضت مُسرعة تستنجد بأي أحد.... فتحت باب الشقه و

نادت بهستريا... فلم يجد لسانها سوى الحقيقه التي

خرجت اصلا بحثا عمن يكذبها

سلمى بأنهيار : ألحقوني سارة ماتت... سارة اختي

ماتت

هرولت النسوة للأعلى... كانت سلمى قد عادت للداخل

تحتضن اختها و هي تهزها و تجهش في البكاء...

اقتربت النسوة منها و هن بحالة صدمة.. . هل ماتت

بحق... سيحتضن جسدها التراب يوم وارى جسد

زوجها... حرروها من بين يدي سلمي التي كانت

تصرخ بهستريا... غلبتهن دموعهن ليس فقط حزناً على

سارة لكن لما رؤا عليه سلمى من انهيار دفع بعضهن

ان يأخذنها عنوة لاحدى الغرف فيما نقلن أختها لغرفة

أخرى...

غابت سلمي لبعض الوقت و غُيبت لفترة أخرى بعد ان

أصابها هستريا شديدة من البكاء و الصراخ مما دفع

يحيى ان يعطيها منوم جعلها تتنام لساعات تمت فيها

الدفنه و العزاء.. .

....

في شقة يحيي... كانت هالة قد نزلت في وسط المعمعه

و عليها اثار البكاء الشديد مما فعله بها يحيي لكنها

بدت و كأنها تبكي لمصابهم فلم ينتبه احد لها... أخذت

الطفلان لتنأى بهم عن الأحداث و صعدت لشقتها

تبعدهم عن اصوات الصراخ و العويل و مشاهد السواد الذي توشحت به النسوة المعزيات.. كان المشهد مُقبض لها فما بال الصغيران... اجلستهما في غرفة كانت قد اعدتها يوما لطفلها الذي حُرمت منه.... كانت تشعر بالالم كلما مرت عليها او وقع بصرها على نقوشات قد زينت بابها.. لكن حين فتح يحيي باب الغرفة و سمح لابني اخيه ان يلهوا فيها أحست حينها بالحسرة... ملئ قلبها غل و كرة... كانت تلك هي القشة التي قسمت ظهر البعير... لازالت تذكر اليوم... اعتادت ان تنظف الحجرة و تُهيأها و كأنها تستعطف القدر.... تبدأ كل يوم بتلك الغرفة قبل اي شيء... صعد يحيي بالصغيران... كانت بالمطبخ و لم تنتبه حتى لقدومة... شهدته يخرج من الغرفة بهدوء و كأنه يتسلل.. تعجبت فلم تراه ابدا يُلقي بالا لتلك الغرفة و كأنه لم يأمل يوماً ان يُنجب

طفلا... اقتربت منه فأنتفض مفزوعاً... سألته ما الذي

يفعله فأخبرها انه احضر ابني اخيه ليلهوا بالالعاب فما

الحاجة لوجود تلك الأشياء ان لم يُستفاد منها....

قسمها...حطمها... اتى علي بنيانها...كرهته و كرهته

الطفلان الذان حل محل طفليها بل و ورثوهما من قبل

حتي ان يولدوا... يومها تيقنت ان الامل قد مات.... كان

سعيها ليس فقط من اجلها... لم تكن ترغب في طفل الا

له و منه . .. فإذا به يخونها و يستبدل حلمها و يُبدله

بأخر ليست جزء منه... أقسمت في نفسها ألا يكون هو

الاخر جزء من حياتها... لكن قبل كل شي يجب أن ترد

له الصاع... ستخونه كما خانها... ستستبدله كما

استبدلها... تعاطت في علاقات مع شباب علي الفيس

بوك... كانت تختارهم بعنايه... اصغر منها بأعوام حتى

تضمن ألا يتطور الامر لشيء تندم عليه... كانت تأتي

لحظة تشعر فيها بتأنيب الضمير فما تلبث ان تحل

محلها تصميم و اصرار اكبر على التمادي حين ترى

موقف زوجها المُخذل لها أمام كلمات امه و اخته

المؤلمة و معايرتهما لها و تحريضهما له بالزواج من

أخرى و كأنه ما تزوجها الا لتكون ألة تفريخ و حتي

انها لم تمانع و لم يكن ذنبها.... كانت تراه يصمت...بل

و يمّن عليها بذلك انه لا يتعاطى في الأمر... و هل

يكفي عدم التعاطي لتشعر بمساندته لها... أيكفي الا

يستجيب لهما و ينفذ رغبتهما في الزواج ليُشعرها أنها

بمأمن و انها لا تزال جزء من حياته.... لم يكن يوماً

كافياً لها كما لم تكن هي.. فلم يمّن عليها بنفسه.... كانت

تراقب الصغيران و هما نائمان في سرير طفلها...

كانت تجلس علي الارض قد اسندت ظهرها للحائط و

مددت رجلها.. و ارخت ذراعيها... تنهدت و هي

تسترجع ما مرت به خلال الساعات القليله الماضيه...

مات محمود و سارة... الاثنان ماتا في يوم واحد... ماذا اغنا عنهما ابنيهما و ماذا اغنيا عن ابنهما.. لا شيء...

قامت من مكانها و اقتربت من سرير الصغيران..

تحسست وجهيهما بحب... كيف غارت منهما يوماً...

كيف شعرت منهما بالخوف على مستقبلها... و مستقبل طفلها... لم تتمالك نفسها فسقطت دموعها على وجهها لتبلل وجه الصغيران و هي تُقبلهما... تحسست وجهيهما تزيل عنهما اثر البكاء.... شعرت بتململ مروان و قد فتح عينه.. اسرعت يدها تزيل الدموع من ع وجهها و ارتسمت ابتسامة علي وجهها.....

هاله بحب و هي تمسح على شعر الصغير : عاوز حاجة يا مروان

كانت عين الصغير زائغة و كأنه يبحث عن شيء.. و

كأنه يتأكد ان ما رأه ما كان إلا كابوس...

هالة بصوت مختنق بالدموع اشفاقاً علي حالة الصغير

: عاوز ايه يا حبيبى

مروان بنظرات زائغة : عاوز ماما

لم تستطع هالة ان تخفي دموعها اتي انهالت علي

'وجهها و وجه الصغير التي احتضنته و ظلت تمسح

على ظهره و تقول

هالة ببكاء : ماما نايمة دلوقتي يا حبيبي و مش هينفع

نقلقها

لم يجادل الصغير و لم يزيد بكلمة... ظل بين احضان

هالة حتي اخذه النوم... كانت دموع هالة لم تنقطع و

نهنهاتٍ بين فينه و اخري تخرج منها... مددت الصغير

علي فراشه و قامت و لا زال بصرها معلق بهما و

عيونها تجود بما لديها... عادت لجلستها علي

الارض... لكنها أستلقت عليها فقد ارهقها كثرة البكاء و

أنهكها ما مر عليها في يوم واحد... يوم لخص لها حياة

كانت تسعى إليها.. و أشياء كادت تُضيع نفسها من

اجلها ان لم تكن قد فعلت... أجهشت في البكاء فوضعت

يدها على فمها لتكتم آنات تكاد تتفسخ عنها ضلوعها....

تذكرت سارة... كيف حقدت عليها... تمنت ان تكون

هي يوماً.. حسدتها علي ولديها... تذكرت كم كانت

تُعاملها بالحسنى... لم تري في عينها شماته و لا سمعت

منها و لا بغير قصد تلميح ازعجها... ماتت سارة و لم

تُسامحها.. و محمود... اه ثم اه ثم اه منه.... تعلم أنه لم

يتحدث مع يحيي في زواجه ليس لشيء الا ليورثه...

تعلم انه كان يري فيهما مشروع وراثه... كان يُعلق

يحيي بأبناه فيُغرقهما بالهدايا و العطايا فقط ليستغله... لم

يساعدها حين شكت له من كثرة تغيب زوجها في العمل

بل و اتته الجرأة ان يقول لها بالنص " متبقيش انانيه

يعني عاوزاه لا يبقي له مال و لا بنون" قالها حتي

بدون إهتمام.. فقط قالها و انصرف... صدمها ما قاله...

لم يصدمها بل سحقها.. دعسها... غادرت دون ان تنبس

ببنت شفة فيما تعالى صراخ قلبها بأهاتٍ لو انزلت علي

جبل لتصدع من قوتها... و لو كان للاكباد المحترقه

رائحة لسدت رائحتها انوف كل من مر يوماً بها منذ

خلقت حتي يوم يأتي بنا الله فرادى... ما قالها الا طمعاً

في ان يورث .. كان يخطط ان يؤل كل شي له.. لكن

اين هو الآن... مات ... مات قبل ان تنتقم منه... ليتها

تراه الآن لتقول له فقط انه خسر... انه لن يغني عن

الموت مال و لا بنون.... كانت مُغمضة العينين لكنها لم

تكن نائمة.. شعرت به و هو يفتح الباب بحرص و يغلقه

بحرص.. لكنها لم ترى نظرته المحتقرة لها.. كان يحيى

قد أنتهي من اخذ العزاء فصعد ليغير ملابسه و يعود

ليجلس مع امه المكلومة.. ما ان فتح باب الشقة و دلف

منها حتي تذكر ما حدث بينه و بين هالة... شعر

بالغضب الشديد... كان يعلم انها لازالت هنا.. يعلم انها

لن تجرؤ ان تواجهه... فتح باب الغرفة الصغيرة

ليطمئن علي ولدي اخيه.. و لم يخفى عنه انها ستكون

معهما... كان يتمنى ان يصيبها نظراته المشتعلة غضبا

و احتقاراً لكنها تفادتها بأدعائها النوم... غادر المكان و

دخل غرفته يبدل ملابسه.. رأى أثر الشجار بينهما..

تلفت يبحث عن الهاتف فلم يجده.. زفر بقوة و اخرج

ثيابه و بدلها سريعاً و غادر المكان متحفزاً.... هبط من

علي الدرج.. تذكر سلمي... لن يستطيع ان يدخل عليها الشقة... هبط لاسفل يبحث عن اخته لترافقه....

....

في الدور الاول من البيت... كان البيت قد خلا من المعزيين.... كانت الام سُمية قد أستلقت في فراشها فلم تستطع ان تتحمل صدمة تشييع ابنها و أخذ العزاء فيه.... ليس هناك بلاء اشد من تُدخل قطعة منك للقبر... و ليست اي قطعة..مهجة القلب و فلذة الكبد... ظلت في حجرتها تبكي ابنها... و تتحسر علي شبابه و ابناؤه اللذان فقدا امهم و ابيهم بيوم واحد... أما ريم فظلت في الخارج تبكي و هي تأخذ عزاء النسوة من جيرانهم و اقاربهم و تطمئن من وقت لاخر على أمها.. دخل يحيى فوجدها علي حالتها.. تجلس على أحدى الكنبات تبكي و تهمهم بكلمات لم يميزها...

يحيي بحزن : ماما نايمة يا ريم

ريم ببكاء : مش عارفه بس كنت عندها من شويه و كانت صاحيه

غادرها يحيي و توجه لغرفة امه.. فتحها بهدوء و دلف... وجد امه تجلس علي السرير و تحتضن عباءة كان محمود قد اشتراها لها لتحضر بها زفافه.... كانت تبكي و هي تعتصرها.. تكاد اصابعها تخترقها من شدة قبضتها... ما ان رأت يحيي حتى علي صوتها بالنحيب.. اسرع يحيي و اخذ برأسها و دفنها بحضنه و ظل يمسح علي رأسها

سُميه ببكاء شديد : حتة مني دخلت الترب... قلبي اندفن.. أعيش ازاي من غير قلبي...

يحيي مقاطعا ببكاء : ربنا يرحمة يا ماما.. ادعي له بالرحمة

سمية و هي تُجهش بالبكاء : و انا مين هيدعي لي بالرحمة.. بقه بدل ما ياخد عزايه و يشيل خشبتي انا اللي اخد عزاه

قالتها و هي تحرر نفسها من بين حضن ابنها ثم ضربت على صدرها بقوة و صرخت و هي تُجهش في البكاء... جذبها يحيي لحضنه مرة اخري و ضغط عليها حتي تهدأ.. كانت ريم قد دخلت الغرفه حين سمعت صوت الصراخ... انخرطت في البكاء و اسرعت نحو امها تهدئها... دقائق و بدأ يخفت صوت بكاء الام فأبعدها يحيى عن صدره و كانت ريم قد اتخذت مجلسها عند قدم امها...

يحيي لريم بصوت خافت : اطلعي هاتي شنطتي من برة

ريم و هي تقوم من مكانها : حاضر

دقيقه و عادت و في يدها حقيبة يحيى... وضعتها على السرير.. حرر يحيي رأس امه من حضنه و جعلها تستلقي علي السرير... كانت عيونها قد صارت بلون الدم و دموعها تسقط بلا انقطاع كشلال تحطمت سدوده... مد يده و اخذ الحقيقه و اخرج منها حقنة مهدئة... اعطاها لها ثم دثرها و غادر بهدوء بعد ان قبل رأسها... خرج يحيى من الغرفة و ظن أن ريم بعقبه فلما صار بالصاله و انتظرها فلم تخرج عاد للغرفة فوجدها تجلس بجانب امه.. دلف للداخل و نبهها بهدوء ام تلحقه ثم خرج فما فبثت ان تبعته

ريم ببكاء : في ايه يا يحيي

يحيي بحزن : عاوز نطلع نطمن علي سلمي

ريم بعصبية : هي لسه ما خفيتشي.. هي ليها عندنا ايخ.. اختها و ماتت

يحيي مقاطعا : ايه الهبل اللي انت بتقوليه ده..

ثم اضاف بغضب بلهجه محذرة : يلا اطلعي قدامي خلينا نخلص

تحركت ريم بعد ان رمقت اخيها بنظرات غاضبه و لازالت عيناها منتفخة من اثر البكاء 'و في عقِبها يحيي مُنكس الرأس لا يتخيل انه توه قد دفن اخاه الذي طالما عوّل عليه ان يأخذ عزاءه و يحمل نعشه.... كان بمثابه اب و اخ و صديق حتى انه ارتضى بأن يصبح ابناه ابناء له و صب عليهم' محبته و اهتمامه و شغلاه عن محاوله انجاب طفل من صُلبه.. دخلت ريم الشقه فيما ابطء يحيي حركته حتى تأتي له اخته بالاذن ان يدخل... وقف و قد زاغ ببصره بأركان الشقة التي طالما حلم ان يأخد موضع اخيه فيها... تمني ان يكون هو أبو أحمد و مروان... حتى سارة كان يراها زوجة مثالية و يمكن ان

تتخيلها أم لابناءك.. اما هالة التي طالما احبها.. لم

يتخيلها أم ابدا... تخلى عن الحلم في ان يُصبح اب و

فضلها علي نفسه.. و ماذا كان جزاءه إلا الخيانه... زفر

بقوة و مسح علي وجه بعنف و هو يتذكر ما جرى

بينهما..

....

في شقة سارة و محمود... كانت سلمى مستلقية علي الفراش... مغيبة عن الدنيا... فبعد ان سقطت اختها جثة بين يديها.. و اصابها هستريا..من الصراخ و اللطم دفع يحيي ان يعطيها منوم حتي لا تؤذي نفسها.. تململت فى فراشها... كان كابوس.. فتحت عينيها مفزوعة فأصطدمت بسقف غرفة مزين بالنقوشات... نقوشات تعرفها فهي من اختارتها مع سارة يوماً... انتفضت مفزوعة لا تصدق ان ما رأته لم يكن مجرد كابوس.. خرجت و قد تبدلت هيئتها... وجهها قد اصابه جرح في جانب شفتيها و عيناها و قد أصابهم زُرقه من كثرة اللطم... كان وجهها شاحب و كأن الموت قد خيم بظلاله عليها فأطفأ نور الحياة منه فبدت كجثة علي قيد

الاحياء..... خرجت مفزوعة 'من الغرفة انظارها زائغة و فمها جاف كانت تنادي علي اختها بهستريا فتخرج الكلمة و كأنها يتشقق منه جوفها فكانت مُحملة بالألم... كانت عيناها تبكي بغزاره حتي بدت و كأنها ليلة ممطرة في ديسمبر حزين.... دخلت غرفة اختها وجدتها فارغة... هرولت للمطبخ و كل مكان في الشقة تبحث حتي تحت الفراش و الكراسي و في الدولاب... تفتح الشبابيك و تنادي بصوت باكي و دموعها الدامية تجود بما لديها لتعزف علي اوتار مصابها معزوفة الفقد.. و ليس في الحياة شيء اكثر ألماً من الفقد... ان يأتي عليك صباح و قد غادر حبيب لك الدنيا... يأتي عليك لحظة تشتاق إليه و يُستحال ان تكون معه او تسمع صوته او تكون مطمئنا حتى انه بخير... ماتت سارة... ماتت من كانت تعوّل عليها ان تكتشف هي موتها... لم يتبقي لها احد في الدنيا... ماذا و ان ماتت وحيدة في بيتها... من سيفتقدها... ستظل حتي تتعفن و لن يكتشفها أحد... لم تكن تزور سارة يومياً و لا حتي اسبوعيا بل و يمضي الشهر لا تزورها و لا حتي سارة تأخذ من وقتها دقائق تتصل عليها... كانت تخاف أن تزورها و هي تعلم ان حماتها لا تُحبها... ترى نظرات الحرج تكسو وجه سارة اذا أتت لها... لا تدري لم تخجل منها.... ما بها ليس شيئا مخذي... فقط هي لم تتزوج.. لم تؤذي أحداً..

و هو ليس مرضاً... فلم تتحرج منها.. شعرت انها غير مرغوب فيها في حياة اختها... فلم تعتب على الآخرين حين عاملوها بنفس الطريقه... يتهربوا منها اذا ما رؤها... و كأنهم يخشوا على انفسهم الجذام... يفروا منها كفرار السليم من الاجرب.. حتى نظراتهم دوماً لها إما نظرات اتهام تارة و لوم تارة اخرى.. ابتعدت عن الجميع و حتي اختها... كانت قد أهلت نفسها انها ستظل وحيدة و انها بلا اي أحد ف الدنيا سوى الله و كفي به... لكن حين ماتت سارة بين يديها في لحظة... و برغم انه منذ شهور لم تراها... الا انه كان يكفيها انهم علي نفس الارض و يتنفسوا نفس الهواء... أملت انها ستحن إليها يوماً و تغفر لها ذاك الذنب الذي لم تفعله و قد دفعت ثمنه اضعاف مضاعفه... قد يكون حتي ذلك اليوم لن يأتي الا و قد فارقتها الروح.. و ماذا فيها فيكفي انها ستجد من يكتشف جثتها و يواري سوئتها.. و الان.. ماذا الان... من سيواري سوئتي.. كانت الافكار تدور في عقلها بسرعة تتنازعها.. تكاد تفجر رأسها و تحرر نفسها... تطوق رقبتها فتخنقها او تحبس انفاسها فتموت... كانت فقط تنادي علي اختها و هي تجهش في البكاء... بكاء يكاد يُفسخ حاشاها و يفتك بها.... خرت علي الارض متهالكه... تبكي و تُجهش بالبكاء و تهمهم باسم اختها.... لم تشعر بأن هناك من يقف امامها..

كانت ريم قد دخلت الشقة لتراها... صدمها ما حل بها.... رق قلبها رغم كل ما تُكنه من كره بلا سبب... ليس لديها شي تحسدها عليه و ليس بينهم مال و لا تجارة و لا حتي يمشون من طريق واحد... هي فقط تكرهها.... كان مشهد سلمى قد قبض قلبها.... المها... ذكرها بمصابها... هي ايضا فقدت اخيها.. لكن علي الاقل لديها زوج و ابنه و لكن هذي المسكينه..... اقتربت منها بحذر و مالت لتضع يدها علي ظهرها وجدت جسدها ينتفض... يرتعش من داخله... كان ذاك الدم الذي يجري فيها حمم بركانيه تفور...

ريم بصوت متالم : انت كويسة يا سلمى

رفعت سلمى بصرها بضعف.. بألم.. بصدمة... و ما لبثت ان اجهشت في البكاد و هي تقول : اختي ماتت ياريتني كنت انا... يا ريتني كنت انا... انا ليه لازمة ايه... هي عندها عيال عاوزينها... انا مين عاوزني.. يا سااااارة....... اختيييييي بالله عليك تعالي..

كانت سلمي تنادي على اختها بهستريا و هي تجهش ببكاء ينتفض منه جسدها و يكاد يتفسخ منه قلبها... اسرعت ريم تنادي علي يحيي الذي لم يكن بعيداً عنهم و قد سمع ما قالت فلم يمتلك دموعه التي فاضت و جادت بما فيها.. وقف مصدوماً اكثر منه متألماً.. لم

يكن يتخيل ان هناك من هو اصعب منه حالاً... علي الاقل بأمكانه إذا اراد ان يتزوج... و حتي لو لم يُكتب له الله ان ينجب... فنظرة الناس له لن تصل لتلك الدرجة... يعلم ماذا كانت امه و اخته يحكيان عنها في غيبتها... و حتي في وجهها... و ما كانا إلا جزء من مجتمع لا يختلف رأيه عنهما.... هي في نظر الجميع ملامة..تصنيفها في البشر درجة ثانيه ان لم تكن ثالثة او رابعه... يراها الجميع خطر على حياتهم و مصدر تهديد دفعهم ليلفظوها... كانت عيناه تتساقط منها الدموع و هو يستمع إليها حتى وجد يد تهزه تنبهه

ريم ببكاء و بصرها معلق بسلمى : ألحقها يا يحيي.. اديها حاجة تهدأ

يحيي و قد جلس القرفصاء علي مقربة منهم و قد نكس رأسه و عيناه قد امتلأت بالدموع حتي إذا ما فاضت تحدرت على وجهه : سيبيها يا ريم تفضفض عشان ترتاح

....

يارب ضاقت بي الدنيا بما رحُبت.. يا رب يا رب أني اشكو اليك ضعف قوتي و قلة حيلتي و هواني علي الناس برحمتك يا أرحم الراحمين انت رب العالمين و

انت ربي إلى من تكلني.. الي بعيد يتجهمني او عدو ملكته أمري... يا رب ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي... يا رب يا رب يا رب اني مغلوبه فأنتصر... يا رب اني مغلوبه فأنتصر... تعالت اصوات أذان الفجر فقامت من سجودها الذي قد طال و هي تبكي و تـ تضرع حتى كاد ينبت من دموعها الكلأ.... سلمّت و اعتدلت.. اسندت ظهرها للحائط و مددت رجليها و حررت ذراعيها و لازالت عيناها مغلقه و دموعها تنساب علي وجنتيها تشق أخاديد القهر و الغلب... انتظرت حتي ينتهي الأذان لتصلي الفجر... مر شهران على وفاة اختها الان.... شهران مرا عليها و كانهما سنين بل و خطا على وجهها من كثرة البكاء و الحزن ما تتركه العقود من أثار العمر... كانت كل يوم تذهب لبيت أختها صباحاً تُسلم على ابنيها ثم تمر علي المقابر لتُسلم على أختها و والداها... و تفعل نفس الشيء بعد انتهاء عملها الذي تقضي فيه جُل وقتها ما بين مدرسه و دروس خصوصية.. حتي اذا ما انتهت من كل شي... اغلقت باب شقتها و استلقت على الارض وراءه.. كانت تخشي ان تموت و هي نائمة... فلا ينتبه لها احد الا متأخراً... كانت تحسب ان ذلك سيُعجل من انتباه الناس لرائحة موتها فلا تسوء حتي ينفر منها الناس... تفر بمجرد شروق الشمس لتلحق بالمقابر تجلس تقرأ

القرآن ثم تذهب لأبناء اختها ثم المدرسة و الدروس ثم المقابر ثم ابناء اختها ثم تعود لتقضي ليلها الطويل في صلاواتها و تهجع ساعات تستلقي فيه علي الارض بدون حتي حاشيه تحتها و كأنها تُعود جسدها علي رقدة اللحد.... أخذتها غفلة فرأت نفسها تضحك... فتحت عينها و كأنها لم تأخذها غفلة.. قامت تتوضأ لتلحق الفجر و تفوز بالبراءة من النفاق.. انتهت و كالعادة ارتددت السواد الذي صار جزء من حياتها... فماذا بقى لها من الامل.... غادرت الشقة لتبدأ رحلتها... كانت تمشي في الشارع و كأنها منفصلة عمن حولها... بصرها شاخص و عيناها متحجرة و تبدوا لمن ينظر لها و كأنها مغرورقه بالدموع و توشك ان تتحرر...دخلت المدرسة فلم تعبأ كعادتها بألقاء السلام علي أحد حتى تلك الابتسامة التي كانت ترسمها تستجدي بها ود من حولها لم تعد لها مكان ما بين ال اخاديد التي حفرها الغلب و القهر في وجهها... لم تنتبه لأسمها الذي كان يدوي من خلفها إلا حين شعرت بيد تمسك بذراعها.. انتفضت مفزوعة.. و نظرت وجدتها احدى تلميذاتها.. حاولت رسم ابتسامة فبدت باهته..

التلميذة : يا أبلة عم محمد بينادي عليك

سلمى بخفوت و هي تلتفت ورائها و تربت بيدها علي رأس الصغيرة : ماشي يا حنين روحي يلا على الفصل

ما هي إلا دقيقه حتي وجدت فراش المدرسه واقف امامها..

سلمى بخفوت : عاوز حاجة يا عم محمد

محمد بتودد : انشالله تسلمي يا ابلة سلمى.. ماستغناش عنك... بس كنت عاوز أسألك انتِ لسه عاوزة تأجري الشقة اللي في بيتك

سلمى و كأنها تذكرت للتو هذا الامر : ااه طبعاً باذن الله.. زي ما قلت لك اي مدرس عاوز اوضة للدروس انا بأجر... الشقة تاخد 3مدرسين

محمد مقاطعاً : طيب و لو هتتاجر لعيله علي بعضها

سلمى : مفيش مشكلة المهم يكونوا ناس محترمين لاني لوحدي و كدة

محمد بحماس : ده الاستاذ ربيع... عاوز يأجر هنا في بلدنا..

ثم اضاف بلهجة حزينه : من يوم ما الست مراته ماتت و هو دايخ بالبنات و ربنا يصبروا بنت من التوءم ماتت و دفنها في حضن امها

فاضت عين سلمي بالدموع ب ذكرى الموت و تذكرت أختها و طفليها.. كانت قد قررت أن تتصدق بأيجار الشقة... فهي لا تحتاج لاموال.. و حين تذكرت ما تعيش به تلك الاسرة و ما تسبب فيه أنانية الاب في انجاب صبي من تدمير اسرة و تيتم صغار و ازهاق روح بلا اي جريرة سوى أنها لم تنجب صبي... سرحت بذاكرة كانت قد نستها و كان شي لم يكن عن يوم قضته مع هؤلاء الفتيات... انتبهت لصوت الفراش و هو ينادي بأسمها

محمد الفراش : قولتي ايه يا ابلة سلمي.. و الله ده الاستاذ ربيع محترم و قلبه طيب..

ثم أضاف بلهجة استعطاف : هتأخدي في ثوابه و الله ده محتار ببناته

سلمى مقاطعة و هي تغادر : خلاص يا عم محمد... خليه ينقل فرشه يوم الجمعة اكون فضيت الشقة....

محمد و هو يهرول ورائها : و هتاخدي كام يا ابله.. يعني انتِ مش غريبه هو احواله على قده.. و الله انا بساعدة كدة لله... اصلي هاخد منه ايه بس

سلمى و هي تدخل القصل و قبل ان تغلقه خلفها : مش هنختلف.. يعني شوف الايجارات كام دلوقتي و انا اقل 50جنية

محمد بغبطة؛ ربنا يعوض عليك و يبارك لك

سلمي بأبتسامة باهته و هي تغلق الباب : ماشي يا عم محمد و ابقي تعال معاه يومها عشان عاوزاك

محمد بسرور و هو يغادر : من عنيه باذن الله هاجي..

....

في بيت يحيي و بعد مرور شهران على رحيل محمود و سارة.. انتقل الصغيران لشقته.. يقضيان كل يومهما مع أمه يلعبان حولها ليسروا عنها بعد رحيل أبنها.. كانت أمه قد تغيرت كثيراً.. باتت أقل تذمراً و صارت لا تؤذي أحد بكلماتها المعتادة.. فمنذ اليوم التالي من رحيل سارة و في وقت كانت امه منهارة... نزلت هالة تخدمها و تقضي لها حاجاتها بعد أن رحلت ريم بلا رجعه لأيام بعد العزاء خوفاً من ان يطلب منها تحمل مسؤلية شيء... و ذاك كان بدافع منها و دون ان يطلب هو... كانت ترعي الصغيران و ترعي والدته و تخدمه.. لكنهما لم يتحدثا معاً بكلمة منذ ما جرى

بينهما... أخذ يحيي الهاتف و قطع سلك التليفون الأرضي عن شقته.... و كان يتجنب ان يأتي الي الا في وقت متأخر تكون هي قد انهت عملها و دخلت غرفة الأطفال لتنام مع أحمد و مروان... و تشاء الأقدار ألا يتلاقى وجهيهما معاً و لو مرة رغم انهما في نفس البيت و بل في نفس الشقة.. مرت الايام بل و الشهور علي ذلك الحال.. تقربت فيه هالة من امه و لاستعداد نفسي من الام حتي لا تفعل ما فعلته لساره جعلها تتقبل ذالك التقرب بل و تعززه... شعر يحيي بالهدوء قد عم البيت.. فبرغم من ذالك الهدوء الا انه لم يشعر بالراحة في وجود هالة معه في نفس المكان.. برغم محاولتها إظهار انها قد تغيرت و ما تفعله لامه و ابني اخاه و الذي دفع امه ان توصيه بها... إلا انه لا يطيق ريحها... يشعر ان خيانتها طوق قد عُلق برقبته يخنقه و لن يتحرر منه إلا بالتخلص منها.... كان قد عزم امره على الزواج...

كانت هالة قد احست أن موت سارة و محمود ما جاء الا فرصة من الله لتُصلح علاقتها بزوجها... الان باتت لديها طفلان و ليس اي طفلان.. هما طفلان قد اخذوا مكانهما في حياة زوجها بالفعل.. بل و باتت تشبثة بهما اقوى من زي قبل... قررت ان تستغل الطفلان ليعود

إليها يحيي... ستجعلهما يتعلقان بها... ستستغل حاجتهم في من تشغل مكان والدتهما حتى تجعلهم يقولوا لها ماما.. و هكذا و مع رجوع يحيي لها تكون حصلت على الاسرة سعيدة.... ظلت تخطط فبدأت من الصفر بأمه و خدمتها و تظل مع الصغيران حتى باتا يُسميها ب ماما... و بقت خطوة واحدة هي الوصول ليحيي

....

في البيت التي تقطنه سلمى... مر الآن 6شهور علي وفاة اختها.... و 4شهور مند أنتقل الاستاذ ربيع و بناته للسكن عندها... في البدايه كانت تشعر نحوه بضيق... كانت تتهمه بنظراتها بأنه السبب فيما حدث لزوجته... كانت تتعجب من معاملته لبناته و معاملتهن له... كان يبدوا كأبي البنات فعلاً... ذكرها بأبوها رحمه الله و لكن شتان بين الاثنان... فأبيها قد رضي بما قسمه الله له و اكتفى بها و اختها و لم ترى يوما في عينيه و لا بدا في تصرفه يوما انه يرغب في صبي... اما ربيع فهو رغم طيبته الشديدة التي تصل لحد البلاهه يصعب معها تخيل انه قد اجبر زوجته على شيء إلا انها لم تستطع ان تغفر له سقطته.. كانت تتجنب أن تتلاقي معه و تُرجع المساعدات التي تقدمها لبناته إلى انهن ليس لهن ذنب فيما فعل اباهن..كان ذلك في البدايه حتي استفردت

سلمي بحوار من القلب مع الفتيات و في غياب اباهن لانشغاله بطارئ... فعرضت عليهن ان يجلسن معها حتى يعود اباهن... لازالت تتذكر اليوم.. كان قد مر علي قدومهم شهر تقريبا... جلست البنات 6و معهن الرضيعة التي فرحت سلمى كثيراً حين رضوا أن تحملها هي طول فترة جلوسهن... بدأت الفتيات يتحدثن عن أمهن و كيف كانت هي عمود البيت... كانت تُصرّف كل شي.. فأباهن رجل طيب قليل الحيله.... كانت تسعى إلى انجاب صبي لتتسند عليه هي و اباهن يوماً... و برغم من معارضة ابوها في كل مرة تحمل فيها الا انه يرضخ لرغبتها فهو يعلم انها تحبه و ما تفعل ذلك الا حباً فيع فقد تحملها 15عاماً دون انجاب و دون ان يتزمر لحظه حتي من الله عليهن بأول توأم لهما تلاه أخر و اخر و غيما بينهما حالات اجهاض ... كان في كل مرة يفرح بال مولود برغم انه ليس الصبي فيما تحزن امها فيخفف عنها قائلا' "متزعليش ان شاالله المرة الجاية يكون ولد" فلم تكن تلبث طويلا حتى تملأ بطنها بحمل جديد حتي وسمت لنفسها النهاية بحمل في سن خطر و مخاوف صحية لم تُلقي لها بال بحثاً عن صبي تتسند عليه... كانت الكبيرة سندس تحكي لسلمي و دموعها تنزل من فينه لأخرى تحسراً لما اصابهن بعد

وفاة امهن...ف واالدها لا يزال عاجز عن تسيير البيت كما كانت تفعل امها... حتي انهن يشعرن بالقلق عليه هو و يشعرن انه اكثرهن تأثراً بغياب امهن... كانت سلمى تسمع لهن و علي وجهها علامات الدهشة ... فلقد رسمت تخيلاتها عن امهن انها مقهورة و ان ربيع ذو الوجه ال ساذج انما يخفي 'خلفه وجهه المتسلط الحقيقي... فيما كانت الحقيقه غير ذلك بل و مناقضة له تماماً.... سمعت طرقات الباب فأسرعت احدي الصغيرات تفتح فكان اباهن... يدعوهن للصعود معه... كانت الصغيرة التي سُميت للصدفة سارة قد نامت فلم تريد ان توقظها فهي تعلم انهن يقضين ليلهن كله مستيقظين من صراخها... استاذنت من ربيع ان تظل معها فلم يمانع... قابل طلبها بأبتسامة طالما اثارت غيظها قبل ان تعرف حقيقته... اما اليوم فقد وقعت ابتسامته في قلبها فشعرت لاول مرة بشيء تفاعل جسدها معه بصورة اخجلتها و جعلتها تتهرب من اللقاء به لكن تلك المرة كان السبب مختلف..

كانت الفتيات قد تعلقن بها كثيراً و هي وجدت نفسها بينهن حتي انها قللت من الدروس التي كانت تعطيها لتقضي وقت اطول معهن... اما الصغيرة سارة فلم تجد اي معارضة من ربيع حين طلبت منه ان يتركها معها

لتؤنسها... فقط تبسم ابتسامة لامت نفسها يوماً انها حسبتها ابتسامة بلهاء... فهي تلك الصدقة التي اخبرنا عنها النبي... ابتسامة من القلب..... شكرت له فوجدته ينكس رأسه في خجل و يحركها و هو يعتصر عيناه و ينصرف لشقته... تغيرت سلمى كثيراً... بدت و كأنها عادت للدنيا بصك جديد... فرصة لن تلوم الا نفسها ان لم تستغلها... كانت قد عادت البسمة لوجهها... لكنها بسمة حقيقيه... رغبه في الحياة... لكن الهدوء لم يدوم طويلاً... فلم تلبث زميلاتها في تناولها في احاديث القيل و القال و لكن هذي المرة ليس شماته او نفور من حالها... لكن بالتشكيك في سمعتها...و الخوض في عرضها هي و ربيع.. و كأنها يجب ان تظل طول حياتها تحت ألسنتهم... لم يتذكروا يوماً كيف كانت تتحمل فوق نصابها من الحصص... كانت تُبدل معهم حصصهم فتكون اول من يحضر و آخر من يغادر... لم يشفقوا حتي عليها بما أصابها من وفاة اختها و هم يعلموا ان ليس لها غيرها في الدنيا... رؤها تضحك و تبتسم و تتفاعل برفض حصص او الاعتراض فأبوا الا ان ينغصوا حياتها... كانت تلاحظ نظراتهم و همهماتهم و كلماتهم يلقوها و كأنها بدون قصد فتصيب وتر عندها فتتألم في صمت... اما ربيع فكأن ذلك الرجل من عالم أخر.. لا تغادر البسمة وجهه.. يرى ضحكات السخرية

فكأنه لا يعرفها فيبادلها بأبتسامة غير عابئة بقصدهم... يسمع همهماتهم و كأنه لا يعرف انهم يقصدوه هو... كانت تتألم من اجله اكثر مما تتألم من أجل نفسها.. كانت يوماً قد سألت نفسها.. لم كانت زوجته تحاول ان تسترضيه... هي حتى لا تحتاجه في شي فهو كما قالت ابنته عاجز بدونها... لكنها ادركت انها القلوب... فقط القلوب... القلب الذي جعل مُغيث يطوف الشوارع يترجى بريرة لتبقي معه و هو يبكي بصورة مخذيه... و رفض بريرة شفاعة النبي في ذلك... تعجب العباس مما راي فقال له النبي اتعجب من هذا انها القلوب :) صدقت يا حبيبي يا رسول الله... و هو القلب الذي جعلها تعقد عزمها ان تتخذ تلك الخطوة..

....

في منزل يحيي.. كانت الامور هادئة و تبدوا مستقرة... لكنه ما كان الا هدوء يسبق العاصفه... عاد يحيي باكراً من عمله... دخل علي امه سُميه كعادته... كانت هالة في المطبخ و الصغيران يلهوان تحت عيني امه.. و اخته ريم تجلس بجانبها تشكوا من زوجها كعادتها و انها تشك فيه و تغيره عليها... كان يحيي يعلم انها فقط تدعي ذلك.. فقد اختارت الشكوى منهج لحياتها

فلم يلقى لشكواها بالا فقط يقول لها ان تصبر و ربنا هيهديه...

يحيي بأبتسامة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سميه بحب : و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. ازيك يا حبيبي

يحيي و هو ينحني ليأخذ الصغيران ليداعبهما : الحمد لله يا ماما

جلس يحيي و علي فخذيه الصغيران... يستمع لشكوى اخته و يضحك في نفسه انه لو كان في مكان زوجها لطلقها و لو خسر كل ما يملك... هي لا تستحق ان تكون زوجة و يعلم تماماً انه يوماً ما ستجني ثمار افعالها و لسانها... كان يريد ان يحادث امه في أمر... ظل جالس ينتظرها ان تكف عن الشكوى فما تلبث ان تأتي بسيرة فلانه او علانه تخوض ثم تعود لشكواها... كانت هالة في المطبخ تتجنب ان يراها يحيي..... كانت قد اشتاقت له... فكرت قليلاً... لم لا تستغل فرصة وجود اخته و امه و تحاول كسر الجليد بينهما... هي تعلم جيدا ان يحيي لا يحب ان تعرف اخته شيء عنه.. فمؤكد انه لن يُحرجها و يبدي اي ريبه في علاقتهما

أمامها... أصلحت من هيئتها و جهزت طبق فاكهه و خرجت تنادي علي الصغيران

هالة بأبتسامة و هي تنادي : يا احمد يا مروان

ثم اضافت بأدعاء المفاجأه من وجود يحيي : الله انت هنا يا يحيي..

أقتربت منه و كأن شيئا... فلم تكد تضع يدها عليه.. حتى نفض يدها بعيداً بقرف و زفر بقوة و قام من مجلسه بعد ان وضع الصغيرين أرضاً و رمقها بنظرة احتقار قبل ان يلتفت لامه و يقول

يحيي بغضب : ماما انا عاوزك جوه شوية

قال يحيي كلمته و غادر المكان تاركاً امه في حالة صدمة من فعلته.. فطالما كان يحيى يحب هالة و لم تنجح مساعيها لتوقيع بينهن يوماً.. و الان و بعد ان استرضتها هالة ترى كل كميه الكره في عين ابنها نحوها... قامت سُمية من مكانها و انسحبت لتلحق بأبنها فيما تركت هالة و قد خرت على الكنبه بدت مصدومة مما فُعل فيها تواً.. و لكن هذا ما لم يكن يشغل فكرها قد ما شعرت بقبضة في قلبها عن سبب رغبه يحيي في الحديث مع امه... كان بصرها قد تعلق بباب الغرفه التي ما ان دخلتها الام سُمية حتى أغلقت بابها.. لم

تشعر هالة بنفسها الا و هي تسرع لتقف وراء الباب تتسمع... فم تنتبه حتي لوجود ريم التي علا وجهها ابتسامة شماته رغم نظرات الدهشة لما رأته يحدث امامها... وجدت هالة تقف خلف الباب تتصنت فلم تمتلك نفسها و قامت هي الاخرى لتحذوا حذوها..

في الداخل كان يحيي قد جلس علي السرير ينتظر امه.. ما ان دخلت و اشار لها ان تغلق الباب.. و استقبلها بأبتسامة حزينه لم تخفي على امه. . أقتربت منه و جلست بجانبه.. مسحت على ظهره فأنحنى يُقبل يدها

سمية بحب : مالك يا يحيى..

يحيي و هو ينظر لامه و لازالت ابتسامته الحزينه علي وجهه : أنا قررت اسمع كلامك يا ماما

سميه بترقب : تسمع كلامي ف ايه

يحيي بجمود : هتجوز

سمية بصدمة : و هالة

يحيي بحسم : هطلقها.. متلزمنيش.. انا عاوز اجيب لي عيل ياخد عزايا

سمية : طيب و هالة

يحيي و هو ينتفض من مكانه بعصبية : مش عاوزها... متلزمنيش...

سمية مقاطعه : طيب يابني ما تسألها ما جايز توافق انك تتجوز

يحيي مقاطعاً : و حتي لو وافقت انا عاوز زوجة واحدة بس.. مش هوجع دماغ نفسي ف مشاكل... انا هطلقها و خلاص

سمية بحزن : طيب يا يحيي ولاد اخوك... يعني هالة كترخيرها شايلانا و بصراحة مش مقصرة

يحيي و قد عاد لجلسته : خلاص كتر خيرها لحد هنا.. و متقلقيش.. انا فكرت ف الموضوع... انا هتجوز سلمي أخت سارة الله يرحمها

سمية بصدمة : العانس

يحيي بأمتعاض : يا ماما حرام عليكي... ليه كدة... أهي هتجوز أهي و لا هي هتفضل طول عمرها عانس

سمية بندم : مقصدش زلفة لسان يابني طيب بس

يحيي مقاطعاً و هو يقوم من مكانه : مفيش بس... انا عاوزك تيجي معايا يوم النهاردة هنزورها ف البيت و نطلبها

كانت ريم و هالة يتسمعوا علي الباب فلما ألتقطت مسامعهم قرار يحيي بالزواج اتسعت الابتسامة على وجه ريم فيما شهقت هالة و وضعت يدها تحبس انفاسها و دموعها تسقط بغزارة فلما قال يحيي انه سيُطلق هالة... شهقت ريم و فتحت عينها علي اخرها لا تصدق ما للتو سمعته... اما هاله فقد جرت بسرعه و صعدت لشقتها و هي تبكي بشدة.. كانت ريم في حالة صدمة فلم تنتبه ان يحيي قد انهى كلامه... فلما فتح الغرفة وجدها و هي واضعه أذنها علي الباب.. أتفزعت حين رأته... اعتدلت... نظر لها يحيي بأحتقار و تحرك... لكنها لم تلبث ان لحقته

ريم بتذمر : بقه مش لاقي غير سلمى العانس المعقدة دي... بقه تسيب هالة و تتجوز سلمي..

توقف يحيي فجأه فأتفزعت ريم و توقفت هي الاخرى عن اللحاق به وجدته يعود حيث أمها.. كان ينظر لها بقرف و يوجه الخطاب لامه

يحيي بحسم : و هنسكن انا و هي ف شقة بره... و ريم بقه تيجي تشوف طلباتك يا ماما و انا كل يوم هكون هنا طبعا ... و اهي كدة كدة كل يوم بتيجي...

ثم اضاف و هو يلتفت لتغادر : و مش بعيد قعدتها تطول كمان

وقفت ريم مصدومة مما قاله... ماذا يقصد... لم تشعر بنفسها الا و هي تُصيح بتلعثم : انا.. انا باجي ضيفه... هتشغلوني... و بعدين انا لي بيت...

لم يهتم يحيي بسماع ردها و غادر المنزل مرة اخري..

اما هالة فقد صعدت لشقتها... ظلت تصرخ و تلطم و شقت عباتها.... ظلت علي حالتها تبكي و تصرخ حتي أُجهدت فخرت علي الارض و استلقت... اخذتها غفوة قامت بعدها من مكانها و بدا عليها انها قد عزمت علي فعل شيء.. دخلت الحمام... غسلت وجهها و غيرت ملابسها و أخذت حقيبتها و خرجت... هبطت من علي السلم فما ان رأها الصغيران حتي اسرعا نحوها..انتبهت سُمية لها و كانت قد رقت لحالها و لاحظت تعلق الصغيران بها..... اسرعت هالة بعدها للخارج... نادت سُمية علي الصغيران فأتوا لها... مسحت علي ظهرهما و بصرها معلق بأثر هالة حيث مرت من امامها لتخرج.....

....

في منزل سلمى... كانت تجلس تداعب الصغيرة سارة التي قد تعلق قلبها بها.. كانت ساهمه... تركت اصبعها بين يدي الصغيرة تلهو بها... انتبهت لمزاح الفتيات مع بعضهن... كانت سلمى الصغيرة تجلس بجانبها تلون احدى كراسات التلوين فيما تمددت توئمها سهيلة علي سريرها في الغرفة... و باقي الفتيات يمازحن بعضهن.. كانت سلمي تنقل بصرها بينهن... ثم عادت ببصرها نحو الصغيرة سارة.. ابتسمت.. امتلأ البيت عليها بالاطفال.. لن تموت وحيدة.. كم ان لطف الله بها... عادت لتتأمل الفتيات.. و ماذا ان رحلن... لن يتحملن تسرب الشائعات.. ستتسبب لهن بأذى... ان كانت هي لا تبالي و ابوهن لا يعي... فهن لسنا بصغيرات و لن يتحملن ان يسمعن تهامس الناس عليهن... ليس هناك سوى ذاك الحل.. و لكن كيف السبيل اليه... قطع تفكيرها طرقات عنيفه علي الباب و اصوات الجرس تدوي معها... تعالي صراخ سارة الصغيرة التي انفزعت من نومها و قامت سهيلة هي الاخرى من نومتها و تشبثت بملابس اختها سندس... تلاحمت الفتيات معا و ابصارهن قد تعلقت بالباب.. من الذي قد يطرق بابهم بتلك الطريقة..

سلمي و هي تحمل الصغيرة لتُسلمها لسندس : خشي انت و اخواتك جوه لما اشوف مين

لم تجادل البنت و لا اخوتها و دخلن للغرفة و أغلقن الباب فكانت اشارة لسلمي لترى هي من الطارق

سلمى من وراء الباب بتأهب : مين

الطارق بغضب : أنا هالة يا سلمي

فتحت سلمي الباب بسرعه و قالت بفزع : احمد و مروان جرا لهم حاجة

ما ان فتحت سلمي الباب حتي دلفت هاله للداخل و هي تدفعها بعصبية و قالت : أحمد و مروان كويسين

سلمي مقاطعه : طب يحيي حصل له حاجة

هالة بصراخ :يحيي... يحيي هيطلقني.... عارف ليه

سلمى بصدمة : لا

هالة بغضب : لا ازاي ده انت بالذات لازم تعرفي.... يحيي هيطلقني عشان يتجوز... و عارفه بقه هيتجوز مين

سلمي بصدمة : لا و هعرف منين

هالة : طبعاً لازم تعرفي... مش انت العروسة.

سلمي و قد شخص بصرها و جف حلقها و كادت رجلها تهوي بها : يتجوزني انا

هالة ببكاء : عشان تيجبيي له عيل... طلقني لانه فاكر اني مابخلقشي... و هو اللى مريض و مش عاوز يعترف بكدة... امه مفهماه ان لو اتجوز هيجيب عيال.. و خلته يطلقني و علي فكرة لما ما تجبيش له العيل اللي عاوزة هيطلقك و يرميك....

قالت هالة كلمتها و لم تتمهل ان تتلقي رداً... فقد ادت مُهمتها... خرجت من الشقة

ولم تتحمل سلمى كلمات هالة جلست علي الكنبة... يحيى يريد أن يتزوج... يريدها هي.... لا يريدها زوجة بل اداة تفريخ.. و ماذا ان فشلت... سيطلقها.... لن تحتمل ان تتخلص من لقب عانس لتكتسب لقب مطلقه... و ماذا ان رفضت الزواج... سيتزوج غيرها حتما... و ابنيّ أختها يتربيان مع امرأة غريبة قد لا تحنوا عليهما... كانت الفتيات قد خرجن من الغرفة و ألتففن حولها... رفعت عينها نحوهن و هي تنقل بصرها بينهن... كيف نست امرهن.... ماذا عنهن... وجدت ايادي الفتيات يتسابقن في التربيت علي ظهرها بحب فأبتسمت ابتسامة باهته و أغمضت عينها و هي تتنهد بعمق.. هل ترفض الزواج منه.... أم ماذا تفعل... ان

رفضت فقد يحرمها من رؤية الصغيران... و ان وافقت ثم طلقها فستُحرم ايضا منهما...

لم تكد تهدأ أنفاسها حتي اتفزعت على صوت طرقات الباب.. انتفضت مفزوعة... انفضت الفتيات من حولها...

سلمي و هي تشير لهن ان يدخلن الغرفة : يلا على جوه دلوقتي

دخلت الفتيات تراقبهن عين سلمي... حتي تأكدت انهن قد أغلقن الباب.. التفتت و أخذت نفس عميق تستجمع قواها.. و اتجهت للباب

سلمى بتأهب : مين

الطارق : انا يحيي يا سلمى

تسارعت دقات قلب سلمى.... هو حقاً اذاً ما قالته هالة لها...

أخذت وهلة تسترجع فيها نفسها فأنتبهت لطرق الباب مرة أخري.. اسرعت لتفتح الباب..

سلمي بأبتسامة زائفة : اهلا و سهلا.. ازيك يا طنط.. ازيك يا دكتور يحيي

سُمية بأمتعاض : الحمد لله.. انت هتسبينا ع الباب كدة يا سلمي

سلمى بأضطراب : لا طبعا اتفضلوا

دلفت سُمية و ابنها للمنزل و لحقتهم سلمي بتأهب... جلس يحيي و امه علي احدي الكنبات فيما فضلت ان تجلس سلمي علي كرسي في مقابلهم..

يحيي بتودد : عاملك ايه يا سلمى

سلمى بتلعثم و هي تنظر للاسفل : الحمد لله

ساد صمت لم يقطعه سوى صوت نحنحة صادرة من أمام باب الشقه.. ألتفت الجميع نحو الباب..

ربيع بأبتسامته التي تجبر اي شخص ان يبادلها بأبتسامة أوسع : السلام عليكم ورحمة الله

الجميع : عليكم السلام ورحمة

يحيي و هو يبادل النظرات مع امه... و هي تقلب شفتها و تزمها بأمتعاض... قطع عليهم السؤال حين تحركت سلمى من مكانها لتقف علي مقربة من ربيع و تقول بثقة

سلمى بأبتسامة ثقة : الاستاذ ربيع.. زميلي ف المدرسة و سكن في الشقة اللي فوقي..

ثم أضافت و هي تنظر له : و خطيبتي

كان بصرها لازال مُعلق به.. حين لاحظت اتساع الابتسامة علي وجهه... فاتسعت ابتسامتها و عادت لتنظر ليحيي و امه اللذان بدا عليهما صدمة ألجمتهم

سلمى بثقة : كتب كتابي يوم الجمعة الاسبوع ده باذن الله.. هنتظرك تيجي يا يحيي انت زي اخويا و عاوزاك تكون وكيلي

نظر يحيي نحوها و نقل ببصره نحو ربيع... ثم عاد إليها و قال بأبتسامة : الف مبرووووك يا سلمي... يشرفني اكون وكيلك..

ثم أضاف و هو ينظر لربيع : انت معاك جوهرة حافظ عليها

ربيع بلهفه وسعادة و علي وجهه ذات الابتسامة : حاضر حاضر

أستأذن يحيي و أخذ امه التي لاتزال تحت تأثير الصدمة و هغادر ا المكان....

ما ان غادر يحيي و امه المكان... و أغلقت سلمى الباب... خرجت الفتيات و قد سمعن كل شيء... وجدت سندس و توأمها يحتضنها و كذلك سلوى و توأمها اما

الصغيرتان فكانوا قد أخذهم ثبات عميق و حتي لو كانوا مستيقظين فلن تجد منهم معارضه و لا قبول فهما يعانين من متلازمة دون... ما ان انتهى عناقهن و ابتعدن عنها فخلا بين عينها و عين ربيع الذي كانت الابتسامة لم تغادر وجهه و ان كانت تلك عادته فقد احست سلمى بشيء فيها و كانها اول مرة تنتبه لها.. لاحظت نظراته المسلطة عليها... أطرقت برأسها لاسفل و كادت ان تنطق حين وجدته يقول

ربيع بسعادة : و الله مش هخليك تندمي...

رفعت بصرها نحوه و نظرت لعينه فأحسنت بصدقهما فلم تجد نفسها الا و هي تقول

سلمي بتلقائية و خجل : و انا كمان

....

كان يحيي يقود سيارته في طريق عودته و قد أصابه الجمود... لا يدري هل ما فعلته سلمى رفض له.. و كيف ترفضه وهي لا تعلم انه اتي ليطلبها.. حسناً و الان ماذا... من سترضي بي.... ليست المشكلة في بل في احمد و مروان.... من ستقبل ان تخدمهما و هما ليسا حتى ابناءه... قطع تفكيره صوت امه و هي تقول بتهكم

سمية بتهكم : فضلت رافعه مناخيرها ف السما و في الاخر هتتجوز بابا جدو

ألتفت يحيي نحو امه مستاءاً مط شفتيه و مضغهما بحركه عصبية من الغيظ ثم ألتفت مرة أخرى للطريق و عاد لافكاره...

وصل يحيي و امه البيت و بعد ان اطمئن عليها صعد لشقته... دلف فوجدها مُظلمة.. أغلق الباب و ألتفت ليجد هاله في وجهه وقد بدا عليها اثر البكاء و اللطم على وجهها.. رق لها فقد لاحظ تغيرها مؤخرا لكنه تجاهله و زهد فيه لوجود سلمى ف الصورة.. تاتي يوميا و تلاعب احمد و مروان.. فتعلق قلبه بها..... او لنقل حاول ان تُنسيه هالة.. دقائق صمت قطعتها هالة

هالة بصوت مختنق باكياً : متطلقنيش و سبني مع احمد و مروان.. اتجوز و سبني معاهم

قالت جملتها ثم انفجرت في بكاء هستيري.. رق له يحيي

يحيي بتأثر : طيب.. بس بطلي عياط...

هالة بتلقائية و قد أجهشت بالبكاء : سامحني يا يحيي.. ده ربنا بيسامح.. انا غلطت و الله غلطت... مش هبرر اللي عملته و لا بقلل منه.... بس انا تبت و كفاية 6

شهور يتعاملني كأني كم مهمل.. بالله عليك سامحني... عشان مروان و احمد

ظل يحيي ينظر لها و هي تترجاه مراراً... ألا يطلقها...... تركها حتي شفا نفسه بذلها ثم أمسك بيدها و ادخلها معه غرفتهما... استسلمت ليده و سكت عنها البكاء و ظلت دموعها تنهمر بغزارة.... اجلسها علي السرير و وقف قبالتها... ظلت تنظر اليه بتطلع... تستعطفه بدموعها و تذكره بما كان بينهما... كان يحيب لا يسمع من كلامها شيء... ظل ينظر لعينها... هل يُسامحها... و ماذا عن حلمة ليصبح اب... و ماذا عنها هي ايضا... لم يحاسبها علي ما لم يكن بيدها... و ماذا عن أبناء أخيه... من ستقبل بهما ان لم تكن لا تنجب...... ستتذمر يوم ما من خدمة ابناد ليسوا أبناءها... و لا حتي اخوات ابنائها.... سيظلمهما.. تنهد يحيي... ثم نكس راسه و جلس بجانبها و لازالت تبكي

يحيي بعد ان اخذ نفس عميق و زفره ببطء : طيب يا هاله... هسامحك بس سيبي فرصة للوقت يرجعنا.... يعني مش عاوزك تنامي هنا في الاوضة دلوقتي.. لحد ما نفسيتي ترتاح شوية.. و احس انك فعلا اتغيرتي

هالة ببكاء شديد : موافقة... موافقة يا يحيي و خد وقتك.... بس متسبنيش

يحيي بتنهيدة : حاضر بس يلا روحي نامي مع أحمد و مروان و سيبيني انام

قامت هالة من مكانها و لازالت عيناها تفيض... مشت بتثاقل و دخلت غرفة الصغيرين..... اتخذت لها موضع و جلست على الارض... ظل بصرها معلق بالصغيرين... تتاملهما..ثم ترفع بصرها للسماء... و كأنها تحمد الله على عطيته... انهكها البكاء فمالت بجسدها و استلقت علي الارض... كان يحيي بغرفته... مثقل بيوم طويل و أفكار تعج بداخله... غير ثيابه و كان يهم ان يجلس علي السرير... انتفض و خرج... فتح غرفة الصغيرين فتحه صغيرة... تأملهما.... انتبه لعدم وجود هالة... فتح الباب و دلف وجدها مستغرقة في النوم عفي الارض... تنهد و دخل حتي اقترب منها... انحني و مد ذراعه و حملها...وجدها تتعلق برقبته بتلقائيه.... مشي بها للخارج... و دخل غرفتهما و وضعها في فراشه... ثم استلقي بجانبها في صمت...

.........................ب

بعد 7سنين جواز و خلفتي ل 3بنات أكتشفت أن فكرتي عن الجواز غلط... و حتى المفهوم العام للجواز كمان غلط... يعني مثلا انا كنت مفكرة ان الزوج لازم يكون سند... حاجة كدة ترمي عليها مسؤلياتك و تتحامي

وراها... و حبذا بقه لو يأخذ القرارات بدالك... كنت مفكرة ان الزوج اللي يتجوز موظفة بيكون طمعان في مرتبها و لو طلب بقه يبقي مش راجل اصلا و ملوش حق ف القوامة... حتى لما رفضت يحيي كان سبب رفضي انه كان عاوز بس طفل و حسيت انه بس بيستغلني و ده ظلم .. . و كمان مفهوم العامة عن الجواز و مصطلح المشاركة بيظلم الجواز... جوازي من ربيع خلاني افهم المفهوم الحقيقي للجواز..... و هي انك تقدم كل شي للطرف الآخر... تبقي داخل في العلاقة و انت مستعد بس تعطي و بدون مقابل... و ما تنظر يا تري الطرف الاخر هيقدم ايه.... تتسابق انك انت اللي تشيل عنه المسؤليه مش منتظر انك تلقى عليه الحمل و انه المفروض يأدي واجبه زي ما انت بتأدي واجبك... حتي كلمة حقوق و واجبات المفروض ما يكونشي ليها مكان ما بين الطرفين... جوازي من ربيع فهمني انك مهما قدمت تحس انك مقصر... مش انك تستكتر نفسك و تمن باللي بتعمله.... جوازي من ربيع علمني ان اختيار الشخص الصح مهم ف اي علاقة... لان الجواز ملوش غير معني واحد بس انك تفني نفسك في سبيل الشخص ده و ده بجد يستحق الانتظار... و جوازي من ربيع فهمني انه بجد كان يستحق اني انتظر عشان يكون هو نصيبي...

كانت سلمي منهمكة في كتابه صفحة جديدة من مذكراتها.. تجلس علي السريرو تمدد رجلها عليه حين انتبهت لصوت زوجها ربيع و هو يقترب منها و يضع يده على ظهرها بحب

ربيع بأبتسامته الدافئة : ايه يا سلمى انت تاعبه نفسك ليه...

سلمي و هي تضحك : تعب ايه بي دا انا ماسكة قلم و بكتب

ربيع بحب و هو يجلس بجانبها : و ماله ناديني و مليني و انا اكتب...

سلمي و هي تضع رأس ربيع علي فخذها و تمسح على راسه بحب : عارف يا ربيع... اما ف يوم ظلمتك... فكرت انك انت اللي كنت بتخلي سامية الله يرحمها تحمل عشان تجيب لك الولد

اعتدل ربيع في جلسته و نظر لها بأستعطاف و هو ينفي التهمه عن نفسه : و الله يا سلمى ابدا... انا عمري ما كنت بفكر كده بالعكس ده انا كنت بقول لها اني مانفعشي حتي اكون اب لولد... اصلي غلبان

ابتسمت سلمي لطريقته و أعادت راسه على فخذها و مسحت عليها بحب و قالت : انا عارفة يا ربيع أنها الله

يرحمها هي إللي كانت عاوزه تجيب لك ولد... و فهمت كمان هي عملت كده ليه.... اما بقه ف مساله ان مانفعشي تكون اب لولد...

تعالى صوت سلمي بالضحك و هي تمسح علي بطنها المنتفخة و تقول : الموضوع ده بقه هنجربه عملي بنفسنا لما يشرف حزلقوم

....

يا رب سامحني... يا رب اني ظلمت نفسي و ان لم تغفر لي و ترحمني لاكون من الظالمين... يا رب بارك لي في جوزي و عيالي و احميهم لي.. يا رب أحمد يطلع الاول و اهدي مروان و خليه يبطل شقاوة.... كبر يحيي و قام من سجوده.. . ف قامت هالة التي كانت تصلي خلفه من سجودها و اتمت صلاتها حتي سلم هو فسلمت... مسحت عينها من اثر بكائها و هي تدعو و تتضرع لله.... كان يحيي قد اعتدل في جلسته و ألتفت لها... أبتسمت... فأبتسم لها و أشار لها ان تقترب منه... جلست بين يديه... اخذ يدها بين كفيه

يحيي بحب : أن شاالله العمليه المرة دي هتنجح... بس المهم تنفذي كلام الدكتور و تفضلي نايمة علي ظهرك و متعمليش مجهود

ألتفتت هاله فه و قالت بلهفه : طيب نستني يا يحيي لما احمد يخلص امتحان 6ابتدائي... انت عارف انه بيخاف و يتوتر لو ماوصلتوش و استنيته علي ما يخلص الامتحان

يحيي و هو يعيدها لحضنه : باذن الله ربنا هيجبر خاطرك أكراما للي بتعمليه مع اليتامي دول

هالة بنغمة باكية : انا راضيه بأي حاجة ربنا يعطيها لي...

ثم ألتفتت مرة أخري ناحيته و قالت : و مش همنعك تتجوز يا يحيي و الله مش هزعل

يحيي بأبتسامة حب : انا اللي هزعل لو قلت كدة تاني

ثم اضاف و هو يقوم من موضعه و يشدها لتقف هي الاخرى : و بعدين أحمد و مروان تحت و انا ما صدقت انهم اتشغلوا مع رؤى و اتصالحوا معاها

ثم جذبها لحضنه و قال : وحشتيني يا هالة

هاله بحب و هي تتعلق برقبته : انا بحبك اوي يا يحيي

....

في شقة سميه... كانت ريم تقضي يومان بالاسبوع عند امها . فبعد ان تزوج زوجها باخري و استسلامها

للامر بعد ان رُفضت قضية الخلع التي رفعتها هي.. فزواج زوجها من اخرى ليس كافٍ للخلع... في حين كسب زوجها قضية الطاعة فعادت مزعنه له بشروطة أن تقضي يومان عند امها في يومي ضرتها و يومان في البيت وحدها معه في وقتها تكون في بيت اهلها و باقي الايام تمكث مع ضرتها التي منذ انجبت صبي و هي تتعالى عليها و تكيدها..

سمية و هي منهمكة في مشاهدة فيلم : قومي يا ريم اعملي لي شاي و شوفي في مواعين اشطفيهم... في ريحة وحشة طالعه من المطبخ من ركنه المواعين..

ريم بتذمر فقد كانت هي الاخرى تتابع الفيلم : هو في ايه يا ماما... هو انا جاية ضيفة هتشغليني

سمية بتهكم و قد ألتفتت نحوها : ضيفة... ضيفة مين يختي... ده انت بتقعدي هنا اكتر من قعادك ف بيتك... ده انت كل اسبوع جوزك يطردك بسبب لسانك... غير اليومين اللي كده كده بتجيهم

ثم اضافت و هي تامرها بتهديد : قومي فزي أعملي حاجة ف دنيتك..

ثم و هي تلوي شفتيها : أكل و مرعي و قلة صنعة.. ياتها مصيبة اللي عاوزة خلف... تيجي تأخد عجول متربية...

قامت ريم و هي تتذمر و تهمهم بكلمات و ادعيه علي زوجها.. فألتفتت أمها نحوها و رمقتها بنظرة يأس من ان تتغير يوماً..